

١٠٨



مَدِينَةُ الرِّيَاضِ عَبْرَ أَطْبَعَاءِ التَّيَّارِجِ



حمد الجاسر

اهداءات ٢٠٠٢

دارة الملك عبد العزيز
المملكة العربية السعودية

مَدِينَةُ الرَّيَاضِ
عَمْرٍاءُ طَبْعًا وَنَشْرًا

مَدِينَةُ الرَّايَضِ عَبْرَ أَطْبَعَاءِ التَّجَارِجِ

حمد الجاسر



دار الفكر جبر العنز

دارة الملك عبد العزيز (ح)

المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجاسر ، حمد

مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ. - الرياض

١٦٦ ص : ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ٩٩٦٠-٦٩٣-٧٢-٤

١ - الرياض - تاريخ أ - العنوان

٢١ / ٠٣٩٦

ديوي ٩٥٣,١١١

رقم الإيداع : ٢١ / ٠٣٩٦

ردمك : ٩٩٦٠-٦٩٣-٧٢-٤



إلى أمير الرياض

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود

تقدّم دار اليمامة

للبحث والترجمة والنشر

هذا البحث عن

تاريخ مدينة الرياض

حمد الجاسر،

في ١٥ رجب سنة ١٣٨٦ هـ

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فإن دارة الملك عبدالعزيز يسعدنا أن تضع بين يدي القارئ الكريم كتاب مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ للشيخ حمد الجاسر رحمه الله. وقد سبقت طباعة هذا الكتاب في سنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م، ورأت الدارة إعادة طبعه لأهميته التاريخية ، فهو يتناول مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية التي تفخر بماضٍ عريق ، وحاضر زاهر ، ومستقبل مشرق بإذن الله، يتناول جذورها ، ونموها وازدهارها، والأطوار التي مرت بها إلى أن أصبحت مدينة عامرة تضاهي كبرى المدن العالمية حضارة وتاريخاً .

ومما يزيد من أهمية الكتاب أن مؤلفه الشيخ حمد الجاسر رحمه الله ، فهو علامة الجزيرة العربية ، وأحد أبرز مؤرخيها ، وتصدر هذه الطبعة بعد رحيله وفاء لجهده ، ونشراً لعلمه.

وقد وجه صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض، ورئيس مجلس إدارة دارة الملك عبدالعزيز بالموافقة على إعادة طبع هذا الكتاب . وعندما اطلعنا على نسخة الكتاب ظهرت لنا بعض الملحوظات على بعض المعلومات الواردة فيه ، وتمت

الكتابة للشيخ حمد الجاسر لعرضها عليه ، وكتب إلى الدارة رسالة أشار فيها إلى موافقته على قيام الدارة بإعادة طبع الكتاب وفق اتفاق تراعى فيه الحقوق . أما ما يتعلق بالملاحظات فقد جاء في رسالته :

«أما موضوع الملاحظات التي وردت في كتابكم ذي الرقم ٣٣٣/٥/١ م ، تاريخ ١٠/٦/١٤٢٠ هـ فلا مانع من ذكرها في الهامش مع ذكر مصدرها، لأنني في كل ما علقتم عليه رجعت إلى مصادر أخرى ، لذلك أرجو منكم التثبت والنص على ذكر المصادر » . وقد تم ذلك فعلاً، فقد أضيفت الملاحظات في الهامش مع ذكر مصدرها .

وإننا - ونحن نضع هذا الكتاب بين أيديكم - لنسأل الله أن يوفق ولاية أمرنا الذين شهدت المملكة في عهدهم تقدماً جلياً شمل جميع مدنها وقراها ، حتى غدت شامخة البناء ، وافرة العطاء .

دارة الملك عبدالعزيز

كلمة

كنت تحدث - في مناسبات - عن تاريخ مدينة الرياض .
ونشرت صحف (البلاد) ، و (الأهرام) ، و (قافلة الزيت) ،
و (الأديب) ، و (الإمامة) مقالات لي في الموضوع .
فأظهر لي كثير من القراء رغبتهم في نشر خلاصة ما كتبت في
الموضوع في كتاب .
وها أنا أستجيب لتلك الرغبة ، راجياً أن يُمَهَّدَ ما كتبت السبيلَ
للباحثين ، وأن يلقي ضوءاً على جوانب من تاريخ هذه المدينة الكريمة .

حمد الجاسر

في رجب سنة ١٣٨٦هـ

مقدمة المؤلف

قامت مدينة (الرياض) على أنقاض مدينة (حَجْر) ، ولهذا فإن تاريخ المدينتين واحد .

وعرفت مدينة (حَجْر) بأنها قاعدة لإقليم (اليمامة)^(١) ، وهو الإقليم الذي يشمل في العهد الحاضر ما يدعى (العارض) ، و (سُدَيْر) ، و (المحمل) ، و (الشعيب) ، و (الوشم) ، و (الحرج) ، و (الفرع : الحوطة والحريق) ، و (الأفلج) .

والبحت في تاريخ مدينة (حَجْر) يستلزم البحث في تاريخ سكان هذا الإقليم ، ممن اتخذوا هذه المدينة قاعدة لحكمهم .

ومن المؤسف أن المصادر التاريخية المدونة المعروفة لا تتضمن معلومات مقنعة من حيث التفصيل ، والصحة عن تاريخ سكان

(١) وفي صدر الإسلام ، كان اسم اليمامة يشمل - من الناحية الإدارية - ما حدده صاحب كتاب (بلاد العرب) لغدة الأصبهاني بقوله : « جابيهما يجبي بجوف المبرد ، مبرد البصرة ، وجابيهما يجبي بركبة ، وبينها وبين قرن ومكة ليلة ، وجابيهما يجبي برمال اليمن ، قريباً من صنعاء ، وجابيهما يجبي بالبحرين . ومنبر الأحساء يدعى عليه لصاحب اليمامة ، وواليهما من قبل عامل اليمامة ، وهو من هذا الوجه يجبي بجبلي طيء ، قريباً من جاز البحر عند وادي القرى . وذلك أن جميع (قيس) جبايتها إلى اليمامة ، ما خلا (بني كلاب) فإن جبايتهم إلى المدينة ... قال : جابيهما يرد لينة ، وهي ماء لبني غاضرة من أسد » .

أي أن عمل اليمامة إدارياً في ذلك العهد يشمل من البحر الشرقي ، إلى العراق ، إلى لينة ، إلى وادي القرى (العلا والحجر) ، إلى (الجار) ميناء المدينة ، إلى قرب (قرن) مكان الإحرام لحجاج نجد ، إلى قرب صنعاء ، فرمال الربع الخالي .

البلاد في عهودها القديمة ، وكل ما يجده الباحث فيها نتف أخبار مقتضبة ، متضاربة .

ولم يعثر على شيء من الآثار القديمة يمكن من إبراز بعض الجوانب التاريخية ، أو يرسم للمعنيين بالدراسات التاريخية طريقاً واضحاً ، إذ لم يجز - حتى هذا العهد - تنقيب عن الآثار ، وليس من المعتقد العشور على شيء منها بارزاً للعيان ، إذ الجهل لم يُبقِ على شيء من ذلك .

الآثار الباقية:

ولقد خلف الماضون آثاراً لو بقيت لألقت ضوءاً على بعض ما خفي من الجوانب التاريخية المتعلقة بهذه البلاد ، مما نجد المتقدمين من المؤرخين حينما يتحدثون عنه يجنحون إلى الخيال ، ويميلون إلى المبالغة .

فقد كان في بلدة (سدّوس) - وتعرف قديماً باسم (القرية) بصيغة التصغير - قصرٌ مبني بالصخر المنحوت ، ينسبهُ المتقدمون إلى (سليمان ابن داود) - عليه السلام^(١) - كعادتهم في نسبة كل شيء عجيب حسن الصنعة إليه ، لتسخير الجن له كما قال المعري :

وقد كان أربابُ الفصاحة كُلماً

رأوا حسناً عدوّهُ من صنعة الجن

وقد بقي من ذلك القصر إلى أول القرن الحالي بناءً شاخصٌ

(١) معجم البلدان ، (مادة : القرية) .

كَالْمَنَارَةِ ، فِيهِ كِتَابَاتٌ مَنْحُوتَةٌ فِي الصَّخَرِ . فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ الْقَرْيَةِ
السُّيَّاحَ يَقْصِدُونَ الْمَكَانَ لِمُشَاهَدَةِ ذَلِكَ الْأَثَرِ هَدَمُوهُ ، نَفُورًا مِنْ
الْأَجَانِبِ^(١).

وَيُرْوَى الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ آثَارَ قَبِيلَةِ (طَسَم) فِي الْبِنَاءِ بَقِيَ شَيْءٌ مِنْهَا
إِلَى أَوَّلِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ^(٢).

إِنَّ الْبَاحِثَ فِي تَارِيخِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ - وَالْأَمْرَ كَمَا ذَكَرْنَا - لَا مَنَاصَ
لَهُ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى مَا فِي الْمَوْلُفَاتِ الْمَعْرُوفَةِ عَنْ تَارِيخِهَا الْقَدِيمِ ، مَهْمَا
شَابَ ذَلِكَ مِنْ ضُرُوبِ الْمُبَالَغَةِ ، وَخَالَطَهُ مِنَ الْإِغْرَابِ فِي الْخِيَالِ .

وَهَذِهِ الْمَعْلُومَاتُ الْمَوْجُزَةُ لَا تَفِي الْمَوْضُوعَ حَقَّهُ مِنَ الْبَحْثِ
وَالِاسْتِقْصَاءِ ، وَلَكِنَّهَا خِلَاصَةٌ مَا يَسْتَطِيعُ الْمُتَعَمِّقُ بِدِرَاسَةِ تَارِيخِ هَذِهِ
الْمَدِينَةِ أَنْ يَظْفَرَ بِهِ فِي ثَنَايَا الْمَوْلُفَاتِ التَّارِيخِيَةِ الْمَعْرُوفَةِ .

(١) تَارِيخُ نَجْدٍ ، لِلْأَلُوسِيِّ .

(٢) صِفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، لِلْهَمْدَانِيِّ ، ص ١٤١ .

مدينة (حَجْر)

معنى اسم حَجْر:

يعلل المتقدمون من المؤرخين تسمية (حَجْر) بأن عبيد بن ثعلبة الحنفي ، لما أتى (اليمامة) ووجد قصورها وحدائقها خالية من سكانها من قبيلة (طَسَم) بعد فنائها ، وتشتت الباقيين منها ، واختلاطهم بالقبائل العربية الأخرى ، احتجر منها ثلاثين قصراً ، وثلاثين حديقة ، فسميت (حَجِيرَتُهُ) (حَجْرًا)^(١) .

ولكن تلك المدينة كانت موجودة قبل نزول بني حنيفة فيها ، في عهد طسم ، حيث كانت تسمى (خضراء حجر)^(٢) .

وكلمة (هجر) - والهاء والحاء حرفان حليان يكثر بينهما الإبدال - يقصد بها في لغة العرب العاربة (قرية) . قال الهمداني في صفة جزيرة العرب^(٣): « والهجر : القرية بلغة حمير ، والعرب العاربة ، فمنها هجر البحرين ، وهجر نجران ، وهجر جازان » .

موقع مدينة حَجْر:

ويفهم من كلام المتقدمين أن مدينة (حَجْر) تشمل قصوراً متفرقة (مَحَلَات) تتخللها حدائق النخيل ، وأنها كانت تمتد على ضفاف وادي (الوتر) من الشمال إلى الجنوب ، باتجاه الوادي ، وتنتشر فيما بينه وبين وادي (العَرَض) .

(١) معجم البلدان ، (مادة : حجر) .

(٢) صفة جزيرة العرب ، ص ١٤١ .

(٣) ص ٨٦ .

ويروي المتقدمون أن عبيد بن ثعلبة الحنفي لما نزلها نزل منها في (الشط)^(١) قرية كانت قي قبلة (حجر) بين (الوتر) و (العرض) قد اكتنفها (حجر)، وفيها حصن (معتق) الذي تحصن فيه عبيد الحنفي، لما نزل (حجرا).

و (الوتر) - بضم الواو وإسكان التاء - هو الوادي المعروف الآن باسم (البطحاء) الذي يخترق مدينة الرياض، كما كان يخترق مدينة (حجر) في الماضي من الشمال إلى الجنوب. و (العرض) هو الوادي المعروف باسم (وادي حنيفة)، وباسم (الباطن) أيضاً.

ومدينة (حجر) كانت تقع بين هذين الواديين، إلا أنها تنتشر على جوانب (البطحاء) شرقاً وغرباً، وتمتد بامتداد الوادي في الربوات التي تنخفض عن التلال الصخرية؛ وترتفع عن مجرى السيول، فيما بين الجبل المعروف قديماً باسم (الخربة)^(٢)، وحديثاً باسم (أبو مخروق) حتى تقرب من بلدة (منفوحة) حيث يتسع أسفل الوادي قبل التقائه بوادي (العرض).

(١) معجم البلدان، (مادة: الشط).

(٢) المصدر السابق، (مادة: الخربة) بضم الخاء وإسكان الراء.

مِنْ تَارِيخِ (حَجَرِ) الْقَدِيمِ

عُرِفَ اسْمُ (حَجَرِ) أَوَّلَ مَا عَرَفَ ، مَقْرُونًا بِاسْمِ (طَسْمِ) عَلَى مَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ مَصَادِرٍ تَارِيخِيَّةٍ .

قال الهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب^(١) : « الخضراء خضراء حجر ، التي التقطها عبيد بن ثعلبة بن الدؤل ، ولم يُشرك فيها أحداً . وهي حَضُورُ طَسْمٍ وَجَدِيسٍ [يعني قاعدة ملكهم] ، وفيها آثارهم ، وحصونهم ، وبتلهم ، الواحد بَتِيل ، وهو من مريع مثل الصومعة ، مستطيل في السماء ، من طين . قال أبو مالك [من مشايخ الهمداني] : لحقت منها بناء طوله مئتا ذراع في السماء . قال : وقيل : كان منها ما طوله خمسمائة ذراع . من أحدها نَظَرْتُ زَرْقَاءُ الْيَمَامَةِ إِلَى مَنْ نَزَلَ مِنْ (حُوجَّانِ) مِنْ رَأْسِ (الدَّامِ) مَسِيرَةَ يَوْمَيْنِ وَلَيْلَتَيْنِ . وَكَانَتْ (جَدِيسُ) تَسْكُنُ (الْخَضْرَمَةَ) ، وَكَانَتْ (طَسْمُ) تَسْكُنُ (الْخَضْرَاءَ) . انتهى كلام الهمداني .

ويفهم من كلام المتقدمين أن قبيلة (طَسْمِ) كانت أُمَّةً عُمُرَانِيَّةً مُتَحَضِّرَةً ، اسْتَوْطَنْتِ الْوَادِيَيْنِ (الْوُتْرَ) ، وَ (الْعَرْضَ) ، وَمَا بِقَرْبِهِمَا مِنَ الْأَمْكَنَةِ ، فَفَجَّرَتْ فِيهَا الْعُيُونُ ، وَشَيَّدَتْ كَثِيرًا مِنَ الْحُصُونِ لِحِمَايَةِ الزَّرْعِ وَالْحَدَائِقِ .

غَزَاةُ الْمَاءِ قَدِيمًا فِي الْوَادِيَيْنِ :

ولقد كانت مياه الواديين في الماضي غزيرة ، وكانت بلاد

(١) ص ١٤٠ .

(اليمامة) كلها من أخصب البلاد ، وأكثرها مياهًا وزروعًا ونخيلًا^(١).

وكانت مدينة (حَجْر) تُسْقَى قديمًا من (العيون) .

ويشاهد المرء عندما يسير على شفير وادي (البطحاء) الغربي متجهًا من الرياض إلى مَنْفُوحَة ، يُشَاهِدُ سُلْسَلَةً من الكُظَّام (الخرز) تمتد حتى تصل إلى الروضة الواقعة شَمَال (مَنْفُوحَة) في مفيض الوادي والتي تدعى الآن (الخضرمَة) . وقد عددت من تلك الكُظَّام في إحدى المرات أكثر من ثلاثين خرزة ، وهي تمثل مجرى عين قديمة.

العيون القديمة :

قال ابن الفقيه في مختصر كتاب البلدان^(٢) : وعيون اليمامة كثيرة ، منها عين يقال لها : (الخضراء) .
وعين يقال لها : (الهيت)^(٣) .

(١) الأخبار الطوال ، لأبي حنيفة .

(٢) ص ٢٨ .

(٣) تقع شرق الرياض سلسلة من الجبال تمتد من الشمال إلى الجنوب ، تسمى (العَرَمَة) ، ويفصل بينها وبين المنبسط الفسيح الذي تقع فيه مدينة الرياض سهل منخفض ، يشقه وادي (السلي) بضم السين ، وفتح اللام ثم ياء الوادي الذي ورد في الشعر القديم كشعر الأعشى وغيره . وفي الطرف الجنوبي من تلك السلسلة الجبلية يوجد منهل (هَيْت) ، وهو عبارة عن فوهة في الجبل يصعد إليها بضعة أمتار ، ثم ينزل في تلك الفوهة إلى مستنقع عظيم من الماء ، مظلم ، لا تشاهد أطرافه ، ويلاحظ فيه أن الماء هناك غير راكد ، ولا يدرى إلى أين يتجه . وقد يكون في القديم عينًا جارية إلى الأرض الواقعة جنوبه تحت الجبل ، وفيها رياض صالحة للزراعة .

وعين بجو ، تجري من جبل يقال له : (الدَّام)^(١) ، ويجو عين يقال لها : (الهجرة) ، ولا يشرب ماؤها لُحْبُثُهُ .

وب (المجازة)^(٢) نهران . وبأسفلها نهر يقال له : (سَبَّحُ الغَمَر) .

وبأعلاها قرية يقال لها : (نَعَام) ، بها نهر يقال له : (سَبَّحُ نَعَام) .

وهذه العيون والأنهار التي ذكرها ابن الفقيه تقع في الخرج ، وفي (الحَرِيق) ، وفي وادي (حوطة بني تميم) ما عدا (الخضراء) ، و (عين هيت) .

من حصون اليمامة :

وقد عرف عدد من الحصون التي شيدتها قبيلة (طَسْم) في (حَجَر)

= و (هيت) المذكور من أشهر مناهل تلك الناحية . وما ينسب للملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل - رحمه الله - من الشعر العامي ، قوله :

وردوهن (هيت) واخطاه الدليله والموارد غير (هيت) مقضبات

واهني الترف منسوع الجديله ما ضواه الليل دون (مغرقات)

روحن قبل العشا ، يسم الثميلة ضمّر ، تضفي عليهن العباة

يصف - رحمه الله - ركباً اتجهوا إلى الرياض ، فعلموا أن الموارد غير (هيت) قد حماها الأعداء ، فاتجه الركب لورد (هيت) فأخطاه الدليل ، وذلك أنه في شعب من شعاب الجبل غير واضح لكثرة شعاب الجبل . ويصف إبل ذلك الركب بأنها اتجهت إلى (الثميلة) ، وهي المورد القليل الماء ، لما لم يقدرُوا على ورود الماء العذب ، وأن تلك الإبل من الظمأ ضامرة ، منضمة بعضها إلى بعض ، بحيث لو وضعت فوقها عباءة لضفت عليها وغطتها .

ثم يقول : هنيئاً للمحبوب الناعم (الترف) ذي الغديرة المسترسلة (منسوع الجديلة) ، ما جنه الليل ، وهو خارج المدينة (دون مغرقات) بل بات آمناً مستقراً .

و (مغرقات) سلسلة من القور تقع شمال الرياض .

(١) الدام : هو التل الواقع جنوب الخرج ، الممتد بمحاذاة الأرض الزراعية . وهو عبارة عن حَرْشُفَة من الأرض (ظهرة) ، أو كما يقول أهل نجد : (صفراء) صخرية ، يفصل بين الخرج وأرض (البياض) .

(٢) المجازة : أسفل حوطة بني تميم ، لا تزال معروفة .

منها (بَتِيل حَجَر) ، وهو - كما يصفه ابن الفقيه - قصر مُشِيدٌ عجيب من بناء طَسَم^(١).

و (معنق) القصر الذي تحصن فيه عبيد بن ثعلبة الحنفي لما استولى على حجر ، وهو من أشهر قصور اليمامة . وكان على أكمة مرتفعة ، مطل على الواديين . ويقع في (الشَّطِّ) إحدى قرى (حَجَر) . ويعلل البلاذري في فتوح البلدان تسمية (معنق) بقوله : « سمي الحصن معنقاً لحصانته ، يريدون أن من لجأ إليه عتق من عدوه » . غير أن ياقوتاً الحموي يورده بالنون (معنق) ، ويورد فيه بيت الشاعر :

أَبَتْ شُرَفَاتٍ مِنْ (شَمُوس) و (معنق)
لَدَى الْقَصْرِ مِنَّا أَنَّ تُضَامَ وَتُضْهِدَا
و (الشَّمُوسُ) من حصونهم أيضاً .

وكذا (الثرملية) على ما جاء في مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه .

ولقد بقيت آثار تلك الحصون معروفة إلى صدر الإسلام . وشاهد أبو مالك أحمد بن محمد بن سهل بن صباح الشكري النجدي شيخ الهمداني بقاياها في أول القرن الرابع الهجري .

(١) ويصفه الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب (ص ١٤) نقلاً عن شيخه النجدي أبي مالك أحمد بن محمد بن سهل بن صباح الشكري الوائلي : « هن مربع مثل الصومعة ، مستطيل في السماء . قال أبو مالك : لحقت منها ما طوله مائتا ذراع في السماء » . ويرى بعض الباحثين أن كلمة (بَتِيل) مكونة من كلمتين : (بت) بمعنى (بيت) ، و (أيل) بمعنى (الله) ، أي بيت الإله .

في أيِّ عَصْرٍ عاشت طِسمٌ ؟

يَعُدُّ المؤرخون (طِسمًا) و (جديسا) من العرب العاربة البائدة ،
ويقرنونها بقبيلة (ثمود) .

ويرجعون القبائل الثلاث إلى جَدٍّ واحد هو سام بن نوح ، فيقولون :
ثمود وطسم وجديس أبناء إرم بن سام . وبعضهم يرى أن طِسمًا تنسب
للأوذ بن سام ، وأنها أقدم من جديس .

ولا جدوى من وراء هذا الاختلاف إلا من حيث الاستدلال به
على تقارب العصر الذي عاشت فيه الأمم الثلاث .

و (ثمود) ، وإن كان تاريخها أشهر من تاريخ (طسم) لذكرها في
القرآن الكريم ، ولبقاء بعض الآثار المنسوبة إليها في بلدة (الحِجْر)
بقرب (العُلا) إلا أن عصرها لا يزال مَجْهُولًا .

وقد ورد اسمها في جملة البلاد التي غلبها (سَرَجُون) الملك
الآشوري ، سنة ٧١٥ قبل الميلاد .

وورد ذكرها في كتب (اليونان) في القرن الأول للميلاد ، وما بعده
على ما ذكره الأستاذ جرجي زيدان الذي يقرر أن الكتابات الموجودة
في (الحِجْر) ليست باللغة (الثمودية) ، وإنما هي (آرامية) تختلف عن خط
(المُسند) الذي يكتب به قدماء اليمنيين ، والذي ينبغي أن يكون هو
القلم الثمودي ، إذ كانت (ثمود) من عرب الجنوب ، كما ذكر ذلك
قدماء المؤرخين . إلا أنه يعود فيقرر العثور على آثار من ذلك القلم
(المُسند) في (العُلا) فيه أسماء ملوك (لِحْيَان) فعرف بالكتابة (اللِّحْيَانِيَّة) .

وأشار إلى أن بعض المستشرقين يرى أن (لحيان) الذين ورد ذكرهم في تلك الكتابة هم بقية ثمود .

ونقل الهمداني (عن زبور قديم) أن قبيلتي طَسَم وجديس من أبناء قَحْطَانَ بن عابر^(١). وكانت (طَسَم) تسكن في وادي (العرض) و (الوتر) وما بقربهما ، إلا أن نفوذها كان يشمل كل بلاد (العروض) ، أي اليمامة والبحرين .

وكان من آثارها في الأحساء حصن (المشقر) ، وتسكن جوارها قبيلة (جديس) في (جَو) اليمامة : (الخرج ونواحيه) .

سبب هلاك القبيلتين :

وما وصل إلينا من أخبار هاتين الأمتين ، لا يصلح أن يكون أساساً للبحث يعتمد عليه تاريخياً ، مع أن عالمين جليلين من علماء القرن الثاني والثالث الهجريين أفردا لأخبارهما تأليفين خاصين ، هما ابن الكلبي ، وأبو البختري وهب بن وهب القرشي ، على ما روى صاحب (الفهرست) ، ولكن كتابيهما لم يصل إلينا .

ويروي المؤرخون في سبب هلاك هاتين الأمتين قصة هي إلى الخرافة أقرب منها إلى الحقيقة ، إلا أنها على درجة من الإمتاع والطرافة ، وشهرتها في كتب التاريخ تغني عن إيرادها كاملة ، فلذا نكتفي بخلاصتها :

كانت السيطرة لطَسَم على جديس ، والملك من طَسَم كان لا ينهأ شيء عن تماديه في الظلم والطغيان ، حتى بلغ به الأمر إلى أن حكم

(١) الإكليل ١ / ١١٩ .

بِأَلَا تُزَفِّ بِكُرٍّ إِلَى بَعْلَهَا مِنْ جَدِيسٍ حَتَّى تُدْخَلَ عَلَيْهِ ، فَاسْتَثَارَتْ امْرَأَةً مِنْهُمْ نَخْوَةً قَوْمَهَا ، وَكَانُوا أَقْلَ وَأَضْعَفَ مِنْ طَسَمَ . فَعَمِدُوا إِلَى الْحِيلَةِ بِأَنْ دَفَنُوا سَيُوفَهُمْ وَأَسْلَحَتَهُمْ فِي الرَّمَالِ ، وَدَعَا الْمَلِكُ وَقَوْمَهُ إِلَى وَلِيْمَةِ أَقَامُوهَا لَهُمْ . فَلَمَّا حَضَرَ هُوَ وَجَنْدُهُ ثَارَ الْجَدِيسِيُّونَ عَلَيْهِمْ بِالسَّلَاحِ فَقَتَلُوهُمْ ، فَاسْتَجَارَ الطَّسْمِيُّونَ بِأَحَدِ مَلُوكِ الْيَمَنِ ، فَغَزَا نَجْدًا ، وَأَوْقَعَ بـ (جَدِيس) فِي (الْخَرْجِ) وَقَعَةً مَنَكْرَةً ، وَخَرَّبَ الْبِلَادَ ، وَهَدَمَ الْحَصُونِ .

وَكَانَتْ زَرْقَاءَ (الْيَمَامَةِ) وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ (طَسَمَ) مُتَزَوِّجَةٌ فِي (جَدِيسَ) ، وَكَانَتْ حَادَّةَ الْبَصَرِ ، بِدَرَجَةِ يَبَالِغِ الْقَصَاصُونَ فِي وَصْفِهَا . فَأَنْذَرَتْ (الْجَدِيسِيِّينَ) حِينَمَا أَبْصَرَتْ الْغَزَاةَ مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ ، وَلَكِنْهُمْ لَمْ يَصْدُقُوهَا ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ ، فَقَضَى عَلَيْهِمْ ، وَقَتَلَ الزَّرْقَاءَ وَكَانَ اسْمُهَا (الْيَمَامَةُ) ، فَسَمِيَ الْإِقْلِيمُ بِاسْمِهَا عَلَى مَا يَرُوي الْمُؤَرِّخُونَ الَّذِينَ يُورِدُونَ الْقِصَّةَ مَطْوَلَةً ، مُوشَاةً بِكَثِيرٍ مِنَ الشَّعْرِ الْمُقُولِ عَلَى أَلْسِنَةِ (الْجَدِيسِيِّينَ) وَهُوَ مَصْنُوعٌ بَعْدَ عَهْدِهِمْ بِأَحْقَابِ طَوِيلَةٍ ، صَنَعَهُ الْقَصَاصُونَ عِنْدَ بَدَأِ تَدْوِينِ التَّارِيخِ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي الْهَجْرِيِّ فَمَا بَعْدَهُ . وَأَقْدَمَ شَعْرٌ صَحِيحٌ سَجَلَ تِلْكَ الْحَادِثَةِ هُوَ شَعْرُ الْأَعْشَى ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْبِلَادِ ، مِنْ بَلَدَةِ (مَنَفُوحَةٍ) ، وَمِنْ شَعْرِهِ :

مَا نَظَرْتُ ذَاتَ أَشْفَارٍ كَنَظَرَتِهَا

حَقًّا ، كَمَا صَدَقَ (الذَّنْبِيُّ)^(١) إِذْ سَجَعَا

(١) الذَّنْبِيُّ : هُوَ الْكَاهِنُ سَطِيحٌ ، وَاسْمُهُ رَبِيعَةٌ ، مِنْ بَنِي الذَّنْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَازِنِ بْنِ الْأَزْدِ . وَأَخْبَارُهُ مَشْهُورَةٌ .

إِذْ قَلَبْتُ مُقَلَّةً لَيْسَتْ بِكَاذِبَةٍ
 إِذْ يَرْفَعُ الْآلَ (رَأْسَ الْكَلْبِ) ^(١) فَارْتَفَعَا
 قَالَتْ: أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَتِفٌ
 أَوْ يَخْصِفُ النِّعْلَ لَهْفِي آيَةً صَنَعَا!
 فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ
 (ذُو آلِ حَسَّانَ) يُزْجِي الْمَوْتَ وَالشَّرْعَا
 فَاسْتَنْزَلُوا أَهْلَ (جَوْ) مِنْ مَنَازِلِهِمْ
 وَهَدَمُوا شَامِخَ الْبُنْيَانِ فَاتَّضَعَا

وأشار إلى الحادثة الحارث بن حلزة الشكري في (معلقته) فقال :
 أَمْ عَلَيْنَا جَرًّا إِيَادَ كَمَا قِيلَ لَطْسُمِ أَخَوَكُمُ الْأَبَاءُ؟!
 قال الأصمعي ^(٢) : كان (طسم) و (جديس) أخوين ، فكسرت
 (جديس) على الملك خراجها ، فأخذت (طسم) بذنب (جديس) .
 وهذا التعليل لغزو الملك اليمني لقبيلة (طسم) هو التعليل الصحيح ،
 فإن (جديساً) لما امتنعت عن دفع الخراج ، غزا الملك (طسماً) لأنها
 هي القوية ، فلما هزمها سهل عليه هزيمة أختها ، لا أنه غزا الأولى
 انتصاراً للثانية .

(١) رأس الكلب : جبل يقع غرب بلدة اليمامة المعروفة الآن من إقليم الخرج ، يشاهد على بُعد
 منها ، ومن بلدة السَّيْح ، ولا يزال يعرف باسم (الكلب) . وبجواره جبل صغير ، ولهذا
 يُطلق عليه : (أبو ولد) .

(٢) شرح المعلقات لابن الأنباري ، (معلقة الحارث بن حلزة) .

ويختلف المؤرخون في العهد الذي غزا فيه الملك اليمني قبيلة (جديس) ، وفي الملك نفسه ، فيرى أبو حنيفة الدينوري أن الملك هو (ذو جيشان) بن أفريقس ، وقد عاش هذا في عهد الملك الفارسي (كيخسرو) الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد . ويشير إلى هذا الرأي الهمداني في الإكليل ، إلا أنه لا يرتضيه . وعهد (ذي جيشان) ليس ببعيد من الزمن الذي ورد في النقوش أن الملك الآشوري (سرجون) غزا بلاد ثمود فيه ، وهو عام (٧١٥) قبل الميلاد ، ومئتان وخمسون عاماً ليست شيئاً كثيراً في أعمار الأمم .

وأكثر المؤرخين يرى أن الملك الذي غزا (جديساً) هو (حسان بن أسعد أبو كرب) الذي حكم في أول القرن الخامس الميلادي إلى سنة (٤٢٠م تقريباً) .

وقد أثبتت النقوش التي عثر عليها في نجد في هذا العهد امتداد سلطة هذا الملك إلى هذه البلاد .

فقد عثر (فيليبي) في جبل (ماسل الجمح) على كتابة بالقلم (المسند) تتضمن أن هذا الملك شيد حصناً في هذا المكان ، لحماية طريق القوافل الممتد بين نجد واليمن^(١) .

ولا يبعد أن يكون سكان هذه البلاد من (طسم) و (جديس) غزاهم ملوك اليمن مرتين لبسط نفوذهم ، أو أكثر من ذلك ، مرة في عهد (ذي جيشان) ، وأخرى في عهد (حسان بن أسعد أبي كرب) ، وبها قضى على (طسم) و (جديس) قضاء مبرماً .

(١) نجد في آخر الكتاب بحثاً عن الكتابات الحميرية التي عثر عليها في نجد .

وتدل النقوش التي عثر عليها في عهدنا الحاضر على تغلغل نفوذ الحميريين تغلغلاً يبرز أثره واضحاً في الكتابات الحميرية المنتشرة في شرق البلاد (جهات القطيف) ، ووسطها في (جبل ماسل الجمح) ، وغربها (في جهات العلا) .

وذكر الهمداني من سكان حَجْر القُدَامِي : « الأقيون بن الحارث من قحطان ، كانوا إلى قُدَم ، بحجر اليمامة ، متوآسين على طسم وجديس . ومن شعر امرئ القيس في وصف الدهر :

وَأَلْحَقَ (آل أقيان) بـ (حَجْر)

وَلَمْ يَنْفَعَهُمْ عَدَدٌ وَمَالٌ^(١) »

سكان البلاد بعد طسم وجديس :

في أول القرن الخامس للميلاد - على أرجح الأقوال - قضى الملك الحميري حَسَّانُ بْنُ أَسْعَدَ أَبُو كَرْبٍ على الجديسين الذين أزالوا حكم الطَّسْمِيِّينَ ، وبقي من القبيلتين شراذم تفرقوا في البلاد ، واندمجوا في القبائل العدنانية والقحطانية التي انتشرت في الجزيرة . فكان منهم من سكن الجَبَلَيْنِ (أَجَا وَسَلْمَى) ونواحيهما ، حتى استولت طيُّ على تلك البلاد ، وهم فيها . ومنهم من سكن (البَحْرَيْنِ) ثم اندمج في سكان تلك البلاد . ومن القبيلتين من بقي في البلاد حتى ظهر الإسلام ، فنسي أصله ، واختلط بأهلها وصار يعرف باسم (الصَّعَافِقَةِ) نسبة لعين كانت مشهورة هناك ، عرف أهلها بامتهان الفلاحة .

(١) الإكليل ٨ / ٨٥ .

بنو هِزَّانِ الْأُولَى

وبقي في (اليمامة) بقية تعرف ببني (هِزَّان) من طَسَم . وهؤلاء هم الذين يسمون (هِزَّان) الأولى من العرب العاربة البائدة . وبعض المؤرخين لا ينسبهم إلى طَسَم ، بل يجعلهم أقدم منهم .

قال ابن خلدون : كانت اليمامة والطائف بيد بني هِزَّان بن يَعْفَر بن السَّكْسَك ، إلى أن غلبهم عليها (طَسَم) ، ثم غلبهم عليها (جَدِيس) ، ومنهم زرقاء اليمامة ، ثم استولى عليها (بنو حَنِيفَة) .

وعَدَّ الهَمْدَانِي^(١) - نقلاً عن ابن إسحاق - بني هِزَّان من العرب البائدة ، قبل طسم وجديس . ثم ذكر قبيلة أخرى تدعى (هِزَّان) ونسبها إلى (مالك بن حمير) من قَحْطَان ، وقال عنها : إنها حي عظيم . ولهم كانت اليمامة ، وإليهم انضاف (طسم) و (جديس) . وعلى كل الأقوال : فهناك قبيلة عربية بائدة تُدعى (هِزَّان) سكنت هذه البلاد ، ولا يعرف زمن سكنها ، وهي غير (هِزَّان) طسم وغير (هِزَّان) عَنَزَة القبيلة العدنانية الباقية .

(١) الإكليل ١ / ١٣٦ .

سُكْنَى عَنَزَةَ فِي الْيَمَامَةِ

ويروي أبو حنيفة الدينوري في (الأخبار الطوال) أن قبيلة (عَنَزَةَ) ابن أسد بن ربيعة - عند تَفَرَّقِ القبائل العدنانية - سارت تَتَبِعُ مَوَاقِعَ الْقَطْرِ ، يتقدمها عبد العُزَّى بن عمرو العنزي ، حتى بلغ (اليمامة) فرأى بلاداً واسعة ونخيلاً وقصوراً ، وإذا بشيخ قاعد تحت نخلة ، يجني رطبها فقال له : من أنت ؟ فقال : من (هَزَّانَ) بن طَسْمٍ ، في كلام طويل مسجوع مصنوع ، يدل على سُكْنَى قَبِيلَةِ (عَنَزَةَ) لِلْيَمَامَةِ ، قبل بني حنيفة .

ويؤيده ما أورده ابن الكلبي في جمهرة النسب في سياق نسب بني وائل بن هَزَّانَ بن عَنَزَةَ بن أسد ، حيث قال : وَسَعْدَانَةُ بِنُ الْعَاتِكِ بْنِ الْمُخَارِقِ بْنِ حِمَارِ بْنِ سَعْدِ بْنِ وَائِلٍ ، وهو الذي أدركه عُبَيْدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ ابن يربوع الحنفي ، وهو جالس تحت نخلة سَحُوقٍ ، يخرف رطبها وهو قاعد ، ويقول :

تَقَاصِرِي ! أَخَذَ جَنَّاكَ قَاعِدَا

إِنِّي أَرَى حَمْلَكَ يَنْمِي صَاعِدَا

فأهوى له بالرمح ليقتله ، فقال : لا تقتلني ، ولكني أحالفك وأكون معك . فدلهم على ما أرادوا وصار فيهم إلى اليوم . وهذا هو أعدل الأقوال ، وأقربها إلى الصحة ، فبنو حنيفة وجدوا بلاداً مغمورة مأهولة يسكنها قوم منهم ، من ربيعة ، فجاوروهم واختلطوا بهم ، وعاشوا معهم .

سُكْنَى حَنِيفَةَ فِي الْيَمَامَةِ

يسوق المؤرخون خبر سُكْنَى بَنِي حَنِيفَةَ فِي بِلَادِ (الْيَمَامَةِ) بِصُورَةِ
قِصَصِيَّةٍ مُنَمَّقَةٍ ، خَلَّصَتْهَا : أَنَّ بَنِي حَنِيفَةَ ظَعَنُوا مِنْ عَالِيَةِ نَجْدٍ
وَأَطْرَافِ الْحِجَازِ .

وَالْحِجَازُ فِي رَأْيِ الْمُتَقَدِّمِينَ هُوَ الْمَوْطِنُ الْأَوَّلُ لِلْقَبَائِلِ الْعَدْنَانِيَّةِ .
فَتَقَدَّمَهُمْ عُبَيْدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعِ الْحَنْفِيِّ ، مُتَجَعِّلاً بِأَهْلِهِ ، حَتَّى
هَجَمَ عَلَى (الْيَمَامَةِ) فَنَزَلَ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ : (قَارَاتِ الْجُبْلِ) مِنْ
(حَجْرٍ) عَلَى لَيْلَةٍ ، وَلَكِنْ رَاعِيًّا لَهُ مِنْ (زُبَيْدٍ) مِنَ الْيَمَنِ أَتَى (حَجْرًا)
فَرَأَى قِصُورَهَا وَنَخِيلَهَا ، فَعَرَفَ أَنَّ لَهَا شَأْنًا ، فَرَجَعَ فَأَخْبَرَ عُبَيْدًا
خَبَرَهَا .

وَأَتَاهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَمَلٍ نَخَّلَهَا ، وَجَدَهُ مُتَتَرِّلاً تَحْتَ النَّخْلِ ، فَلَمَّا ذَاقَهُ
عُبَيْدٌ قَالَ : هَذَا وَاللَّهِ الطَّعَامُ !

وَمِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ يَرْوِيهِ الْقِصَاصُونَ عَنْ طَيِّئٍ حِينَمَا نَزَلَتْ
(الْجُبَلَيْنِ) عَلَى بَقِيَّةِ (جَدِيسِ) .

ثُمَّ رَكِبَ عُبَيْدٌ فَرَسَهُ حَتَّى أَتَى (حَجْرًا) فَوَضَعَ رَمَحَهُ عَلَى الْأَرْضِ ،
ثُمَّ دَفَعَ الْفَرَسَ ، فَاحْتَجَرَ عَلَى ثَلَاثِينَ دَارًا ، وَثَلَاثِينَ حَدِيقَةً ، فَسَمِيَتْ
حَجِيرَتُهُ (حَجْرًا) ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا :

حَلَلْنَا بِدَارٍ كَانَ فِيهَا أَنْيْسُهَا

فَبَادُوا ، وَخَلُّوا ذَاتَ شَيْدٍ حُصُونَهَا

فَصَارُوا قَطِيناً لِلْفَلَاةِ بَغْرَبَةٍ

رَمِيمًا، وَصَرْنَا فِي الدِّيارِ قَطِينَهَا

ثم ركز عبيد رُمَحَهُ فِي وَسْطِهَا ، وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى وَضَعَهُمْ فِيهَا، فَطَلَبَ مِنْهُ جَارُهُ (الزُّبَيْدِيُّ) الشَّرْكَ فَأَعْطَاهُ (الْقُرْيَةَ) - وهي غير قرية سدوس - على نصف فرسخ من (حجر) إلا أنه تركها ، ورحل إلى قومه بعد أن عوضه عبيد عنها بثلاثين بَكْرَةً من الإبل ، فسمعت بنو حنيفة بما أصاب عبيدًا ، فَأَقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا قُرَى (اليمامة) .

وقدم زيد بن ثعلبة أخو عبيد فطلب من أخيه أن ينزل (حجرًا) معه . فقال : لا ينزلها معي إلا من خرج من هذا - وأشار إلى ذاك منه - ولكن عليك بتلك القرية التي خرج منها (الزُّبَيْدِيُّ) ، فانطلق فنزلها في الخيام وبيوت الشعر . فسميت قريتهم (البادية) . وعبيد وولده في القصور من (حجر) .

هذا مجمل ما ذكره المؤرخون عن بدء سكنى بني حنيفة هذه البلاد . ويضيف بعضهم : أنها أصبحت بعد هلاك (طسم) يباباً لا يأكل ثمرها إلا عوافي الطير والسباع ، حتى نزلها الحَنَفِيُّونَ .

والصواب ما تقدم من سكنى بني (هزان) من قبيلة (عنزة) لها حتى جاورهم أبناء عمومتهم من بني حنيفة ، ثم غلبوهم على البلاد ، واختلطوا بهم .

متى سكنت حنيفة اليمامة؟

وإذا اتخذنا من سلسلة النسب دليلاً على الزمن الذي سكن فيه الحنفيون هذه البلاد ، واعتبرنا عُبَيْدَ بْنَ ثَعْلَبَةَ هو الأب الرابع لمُجَاعَةَ بن مُرَّارَةَ الحنفي على ما يروي علماء النسب ، ومُجَاعَةُ هذا أدرك الإسلام ، وأسره خالد بن الوليد في حرب اليمامة ، في السنة الثانية عشرة من الهجرة .

فيكون سكنى بني حنيفة لليمامة قبل الإسلام بما يقارب قرنين من الزمان ، أي في عهد قريب من العهد الذي غزا فيه حسان بن أسعد أبو كرب قبيلة (طسم) ، في أول القرن الخامس الميلادي (سنة ٤٢٠) كما أثبتت الآثار التي عثر عليها في نجد واليمن^(١) .

(١) عثر الشيخ عبد الله فيليبي (H. S T J. B. PHILBY) في جبل (ماسل الجمع) في العرض على كتابة حميرية تثبت امتداد نفوذ الملك الحميري حسان بن أسعد أبي كرب ، ونشر عنها مقالة في المَجلة الجغرافية الأمريكية .

The Geographical Journal Vol. C X V 1, Nos, 4 - 6 Dec. 1950 P. P. 211 - 215 .
يحسن أن نورد ترجمتها كاملة لأهميتها في آخر الكتاب .

حَجْرٌ فِي عَهْدِ بَنِي حَنِيفَةَ

وقد ازدهرت مدينة (حَجْر) في عهد بني حنيفة، في الجاهلية ثم في صدر الإسلام ، فأصبحت قَصَبَةَ اليمامة ، ومَقَرَّ ولَّاتها ، واتخذها العرب سوقاً من أسواقهم ، يفدون إليها من جميع أنحاء بلادهم للبيع والشراء ، وللمنافرة والمفاخرة ، ويقيمون فيها من اليوم العاشر من المحرم إلى نهاية الشهر من كل عام .

ومن أبرز حوادثها في العهد الحنفي الجاهلي تَحْرِيقُها من قِبَلِ بني قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْوَائِلِيِّينَ ، وهم قوم الأعشى الذي وصف الواقعة بقوله :

وَأَيَّامَ (حَجْرٍ) إِذْ نُحَرِّقُ نَخْلَهُ

ثَأْرَنَاكُمْ يَوْمًا بِتَحْرِيقِ (أَرْقَمِ)

كَأَنَّ نَخِيلَ (الشَّطِّ) غَبَّ حَرِيقَهُ

مَاتَمَ سُودٌ ، سُلِّبَتْ عِنْدَ مَاتَمِ

وكان أَرْقَمُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْحَنْفِيِّ حَرَقَ (مَنفُوحَةَ) بِلَادِ بَنِي قَيْسِ الْوَائِلِيِّينَ ، فقام هؤلاء وحرقوا (الشَّطِّ) إِحْدَى قُرَى (حَجْرِ) . وَحُرِّقَتِ (الْبَادِيَةُ) إِحْدَى قَرَاهِ أَيْضًا ، فَسُمِيتَ فِيهَا بَعْدَ (مُحَرَّقَةٍ) .

وكان غزاة هذه المدينة ، بعدما يستعصي عليهم الاستيلاء عليها لتحصينها ، وإحاطتها بالحصون القويّة ، يعمدون إلى الحدائق المطيقة بها فيحرقونها . وعندما سارت (سَجَاحِ) فِي قَوْمِهَا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ لَغَزْوِ (الْيَمَامَةِ) سَجَعَتْ لَهُمْ قَائِلَةٌ عَلَى مَا يَرَوِي الْمُتَقَدِّمُونَ : « يَا مَعْشَرَ

تيم!! اقصدوا اليمامة ، فاضربوا فيها كُلَّ هامة ، وأضرّموا فيها ناراً
 ملهامة ، حتى تتركوها سَوْداء كالحُمَامَة . ولكن بني حنيفة بقيادة
 مسيلمة ، تحصنوا في (حَجْر) فلم تقدر عليهم . وغزا المدينة عمرو بن
 كلثوم التغلبي قبل الإسلام فهزم ، وأسر في أحد قصور (حَجْر) ، ثم
 منّ عليه السَّحِيمُونَ من بني حنيفة فأطلقوه وأكرموا مثواه ، فأشار إلى
 ذلك في إحدى القصائد المنسوبة إليه .

يَيْن (حَجَر) وَ (الْخَضْرَمَة)

ومما يجدر ذكره أن بلدة (الخضرمة) بدأت قبيل ظهور الإسلام
بزمن قصير ، تنازع مدينة (حجر) السيادة .

موقع الخضرمة :

تقع (الخضرمة) في (جَوَّ) في أسفل وادي الخَرْج ، في الموضع
الذي تقوم فيه بلدةُ (اليمامة) في العهد الحاضر ، أو قريباً من ذلك
الموضع .

وكان هُوذة بن علي السُّحَيْمِيُّ الحَنْفِيُّ من تلك البلاد التي انتشرت
فيها بنو حَنِيفَة في ذلك العهد ، فامتد سلطانه على اليمامة كلها ،
وصار يحمي التجارة التي تأتي من بلاد الفرس ، ومن شرق الجزيرة
حتى تبلغ سُوقَ (حَجَر) وغيره من أسواق الجزيرة .

(حَجَر) عِنْدَ ظَهْورِ الْإِسْلَامِ

ولما ظهر الإسلام كانت زعامة (الإمامة) وما حولها لهوذة بن عليّ السُّحَيْمِي الحنفي ، وكان يسكن (جَوَّ الخُضَارم) في (الْخَرْج) فكتب إليه رسول الله ﷺ كتاباً يدعوهُ إلى الإسلام هذا نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله ، إلى هوذة بن علي : سلام على من اتَّبَعَ الهدى ! واعلم أنَّ ديني سيظهرُ إلى منتهى الخُفِّ والخافر ، فأسلمْ تسلمْ ، وأجعلْ لك ما تحت يدك» .

ولكنَّ هوذة كتب جواباً يقول فيه :

«ما أَحْسَنَ ما تَدْعُو إِلَيْهِ وَأَجْمَلَهُ !! وأنا شاعر قَوْمِي وخطيبُهُمْ ، والعرب تهَابُ مكاني ، فاجعلْ لي بعض الأمر أَتْبَعُكَ» .

فلما بلغ النبي ﷺ جوابه قال : « لو سألتني سَيَّابَةً (أي بلحة) من الأرض ما فعلت ، بَادَ ، وبَادَ ما في يديه ! » . فلم يلبث هوذة إلا قليلاً ثم توفي .

ويرى بعض المؤرخين^(١) أن منزل هوذة كان في (قُرَّان) بقرب

(١) ممن ذكر أن منزل هوذة في وادي (قُرَّان) أبو عبيد البكريُّ في معجم ما استعجم (ص ١٠٦٣) فقد قال : « وأهل قُرَّان في الإمامة أفصح بني حنيفة ، لأنها بعيدة من حَجَر ، ومنها هوذة بن عليّ ذو التاج ، وصُهبان بن شمر بن عمرو ، سيد أهل قُرَّان ، وعَيْنُ المسلمِين على بني حنيفة حين ارتدوا ، وتنبأ فيهم مُسَيَّلَمَةٌ . وقُرَّان هذه قبل ملهم . قال أبو نُخَيْلَةَ يهجو أهل ملهم لأنهم لم يُقْرِوه ، وسرقوا بَنَّهُ ، وبَتَّ صاحبه عَثَجَل ، ويمدح أهل قُرَّان لأنهم قروهما :

ب (قُرَّان) فتيان سباطُ أَكْفَهُمْ

ولكن كُرسوعاً ب (ملهم) أَجْدَمَا

ألا تَتَّقُونَ الله أن تُخْرِمُوا الْقُرَى

= وأن تسرقوا الأضياف يا أهل ملهما »

(مَلْهَم) ، ولكن الصحيح أنه كان في (جَوْ) في الخرج . وليس (جَوًّا)
الواقع في (البَطِين) بقرب المراحمية كما توهم بعضهم^(١) .
وكان ثمامة بن أثال الحنفي يسامي هوذة بن علي في الشرف ،
وهو من أهل (حَجْر) .

ولما بعث الرسول ﷺ الرسل إلى ملوك العرب لدعوتهم إلى الإسلام
بعث سَلِيط بن عمرو - أحد بني عامر بن لؤي - إلى ثمامة بن أثال ،
وهوذة بن علي الحنفيين ، ملكي اليمامة كما يعبر ابن هشام .

= انتهى كلام البكري . وكَذَب أبو نخيلة ، فأهل ملهم سادة كرام ، ولكن الشعراء كما وصفهم
الله في القرآن الكريم : ﴿ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ [سورة الشعراء ، الآية : ٢٢٥] ، وكما قيل :
«وما زالت الأشراف تهجى وتمدح» .

ووادي قُرَّان : هو المعروف الآن باسم (الشَّعِيب) أعلاه وقاعدته مدينة حُرَيْمَاء . وأسفل
منها - على مرأى البصر - تقع بلدة (القَرْيَنَة) وهي المعروفة قديماً باسم (قُرَّان) ، وهو اسم
يطلق أيضاً على الوادي كله .

وأسفل من القرينة - على مرأى البصر أيضاً - بلدة (مَلْهَم) (القديمة التي لها شهرة كبيرة في
القديم) .

وكان سكان هذا الوادي بني سُحَيْم ، من بني حَنِيفَة ، وهم رهط هَوْذَة بن علي السُّحَيْمِي ،
ومن هنا نسب إلى قُرَّان ، غير أن شعر الأعشى يدل على أنه كان ينزل في (جَوْ) .
ومن بني سُحَيْم أهل قُرَّان أناس وفدوا على رسول الله ﷺ مثل : طلق بن علي ، وعلي بن
شيبان ، وغيرهما .

وكانت النصرانية قد انتشرت بين بعض قبائل العرب ، فكان لدى بني سُحَيْم كنيسة ،
فأعطاهم الرسول ﷺ إداوة فيها ماء وأمر بأن يهرق فيها لتطهيرها .

ويشاهد المرء بين حُرَيْمَاء وبين القرينة فوق جانب الجبل الواقع جنوب الوادي المطل عليه
آثار بناء مرتفع ، يطلق عليه اسم (الكنيسة) بالتصغير ، وقد يكون آثار حصن من الحصون
لصق بها الاسم لإطلالها على المكان الذي كانت تقع فيه الكنيسة ، لبعد المكان عن المدينة
وارتفاعه عن الوادي الذي ينتشر فيه السكان ، وقد تكون آثار دير قديم .

(١) قلب جزيرة العرب ، لفؤاد حمزة .

ثم قصد ثمامة مكة معتمراً ، وأهلها إذ ذاك مشركون فوافته خيل رسول الله ﷺ ، فأسرته فأتى به إلى رسول الله ﷺ ، فأمر بربطه بسارية من سواري المسجد ، وكان إذا مرَّ به قال له : « ماذا عندك يا ثمامة؟ » فيقول : عندي خير ؛ إن تُنعم تُنعم على شاكر ، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن كنت تريد المال فسل تعط ! فأمر الرسول ﷺ بإطلاقه ، فأعلن إسلامه .

وذهب إلى مكة معتمراً ، فقالت له قريش : صَبَّأت يا ثمامة ! فقال: لا . ولكنني أسلمت ، ووالله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن محمد .

ثم عاد إلى اليمامة فمنع أهلها أن يحملوا إلى مكة شيئاً ، فكتب أهل مكة إلى رسول الله ﷺ : إنك تأمر بصلة الرحم ، وإنك قد قطعت أرحامنا ، قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع . فكتب إليه رسول الله ﷺ أن يُخَلِّي بين أهل اليمامة وبين حَمَلِ الطعام إلى مكة . ولما مات رسول الله ﷺ ، وانقادت بنو حنيفة لمسيلمة ، ثَبَتَ ثُمامة على إسلامه ، وخرج من اليمامة ، وانضم إلى العلاء بن الحضرمي في قتال المرتدين من أهل (البحرين) ، بعد أن حاول الاستيلاء على مدينة (حجر) فلم يَقْدِرْ .

وكان أهل (حجر) من بني حنيفة وفدوا على رسول الله ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة ، وفيهم مُجَاعَةُ بْنُ مُرَّارة ، والرحَّالُ بْنُ عَنفَوَة ، ومُسيلمةُ بْنُ حَبِيبِ الكذاب ، فأكرمهم رسول الله ﷺ وحباهم .

وكتب الرسول ﷺ لمجاعة كتابين : أحدهما يتضمن إعطاءه مائة من الإبل ، من أول غنيمة يغنمها المسلمون من بني ذُهل بن وائل ، جيران بني حنيفة ، وأبناء عمهم وأعدائهم . والثاني بإقطاعه أماكن في اليمامة .

وهذا نص كل واحد منهما : «بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي ، لمجاعة بن مرارة بن سُلمي ، إني أعطيتك مائة من الإبل ، من أول خمس يخرج من مُشركي بني ذُهل» .

والثاني : «بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب كتبه محمد رسول الله ، لمجاعة بن مرارة بن سُلمي : إني أقطعك الغورة ، وغُرابة، والحبل ، فمن حاجك فإلي» .

فلما رجع الوفد إلى بلادهم ادعى مسيلمة النبوة ، وكتب إلى الرسول ﷺ : من «مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله . سلام عليك . أما بعد ، فقد أشركتُ معك في الأمر ، فلنا نصفُ الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكن قريشاً قومٌ يعتدون» .

فكتب إليه رسول الله ﷺ : من «محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب! أما بعد فإن الأرضَ لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبةُ للمتقين . والسلامُ على من اتبع الهدى» .

وقد انقاد الخنفيون لمسيلمة ، وقوي أمره بعد وفاة النبي ﷺ .

ولما سير أبو بكر الصديق الجيوش لقتال المرتدين ، بعث عكرمة ابن أبي جهل لغزو اليمامة ، وأمدّه بمدد مع شُرَحِبيل بن حَسَنَة ، ولكن

عكرمة أسرع قبل وصول المدد إليه ، فَهَزَمَ جَيْشَهُ ، فكتب إلى أبي بكر بما كان من أمره ، فأمره بالمسير بمن معه لمساندة الجيش الذي بعثه لغزو عُمَان ومَهْرَةَ .

ووجه خالد بن الوليد إلى اليمامة ، فأوعب معه الناس للغزو .
وتعجل شُرَحْبِيلُ بن حسنة بمن معه ، وفعل فعل عكرمة قبل قدوم خالد عليه ، فهجم على اليمامة ولكنه هزم أيضاً .

وفي هذه الأثناء كانت سجاح التميمية قد أقبلت بجنودها لغزو بني حنيفة ، وكان ثمامة بن أثال الحنفي ، قد أسلم وحسن إسلامه ولم ينقذ لمسيلمة ، فأمره أبو بكر بأن يجمع ما استطاع لغزو مسيلمة . فلما بلغت سجاح بجيشها اليمامة ، خشي مسيلمة أن يغلبه ثمامة على (حَجْر) أو شرحبيل بن حسنة ، أو القبائل التي حولهم ، إن هو شغل بقتال سجاح ، فصالحها على أن يدفع لها نصف غلات اليمامة فوافقت على أن يسلفها غلات السنة المقبلة (يدفعها مقدمة عن وقتها) فأجابها إلى ذلك فانصرفت ، فَهَزَمَ شُرَحْبِيلُ ومن معه .

ثم قدم خالد اليمامة في السنة الحادية عشرة من الهجرة ، فانضم إليه شُرَحْبِيلُ بن حسنة بجيشه ، وانضاف إليه جمع غفير من قبائل العرب ، حتى بلغ جيش المسلمين بضعة عشر ألفاً .

ويروي ابن جرير الطبري أن عدد بني حنيفة وأتباعهم يومئذ بلغ أربعين ألف مقاتل ، في قراها و (حَجْرها) .

وخشي أبو بكر أن يؤتى الجيش الإسلامي من خلفه ، فبعث جيشاً بقيادة سَلِيط بن عمرو ، ليكون ردءاً لخالد من أن يأتيه أحد من خلفه .

ولما بلغ خالد بجيشه (ثنية الأحيسي)^(١) وجد مجاعة بن مرارة مع ثلاثة وعشرين فارساً من قومه نياماً ، وأرسان خيلهم في أيديهم تحت خدودهم ، لم يشعروا بالجيش حتى نبهوهم من نومهم ، وأتى بهم إلى خالد ، فظن أنهم جاؤوا لاستقباله ، فقالوا له : ما شعرنا بك وإنما خرجنا لثأر لنا في بني تميم وبني عامر ، فأمر بهم فقتلوا إلا مجاعة .

وخرج مسيلمة ببني حنيفة حين سمع بقرب جيش خالد فنزل (عقرباء) ، وجعل ريف اليمامة وحدائقها خلفه .

ثم وقعت بين الجيشين معارك في أعلى الوادي في (أباض)^(٢) وفي أسفله .

(١) تُعرف الآن باسم (الحيسية) . ويطلق هذا الاسم أيضاً الآن على أعلى الوادي ، من باب إطلاق اسم الجزء على الكل . وقد سهلت الثنية فأصبحت تُجتازها السيارات ، وتسمى : (السبع الملفات) ، لأنها كانت متعرجة .

(٢) قلت فيما نشرت سابقاً : « وقد وهم البلاذري ، حيث قال : إن اسمها - أي الحديقة - أباض . وأباض واد يُعرف الآن باسم (بوضا) من روافد العرض ، في أعلاه ، وبقربه واد يدعى (الهديدير) ، ويعرف قديماً باسم الهدار ، فيه ولد مسيلمة الكذاب » . ذلك ما قلت . فأعلى وادي العرض (وادي حنيفة) يفيض فيه واد يدعى : (وادي بوضا) فروعه تبدأ من المكان المعروف قديماً باسم (نقب بوضا) ذكره ياقوت . وأضيف الآن إلى ما تقدم :

لقد ذكر البلاذري : أن الحديقة تسمى (أباض) . وعدّ الهمداني (أباض) في القرى الواقعة أسفل (عقرباء) . ونقل البكري أن زيد بن الخطاب - رضي الله عنه - قتل في (أباض) . ويضاف إلى هذا أن قبر زيد - رضي الله عنه - كان معروفاً في (الجبيلة) . وكانت العادة أن الشهيد يقبر في المكان الذي يقتل فيه ، أو بقربه ، ولا ينقل .

=

واستولى المسلمون على ما فيه من القرى عنوة ، وسبوا أهلها .
 وكانت وقعة (عقرباء) بجوار بلدة (الجُبيلة) هي الوقعة الفاصلة .
 ففيها انتصر المسلمون وهُزم أعداؤُهم بعد معركة من أعنف المعارك ،
 قتل فيها مسيلمة وأربعة عشر ألفاً من قومه ، سبعة آلاف في الفضاء
 خارج عقرباء ، وسبعة آلاف في (الحَدِيقَة) . ويروي ابن جرير
 الطبري أن القتلى منهم أربعة وعشرون ألفاً . ولعل أعدل الأقوال أنهم
 نحو عشرة آلاف .

وقد استشهد في وقعة (عقرباء) ألف ومئتا شهيد ، منهم زيد بن
 الخطاب ، أخو الخليفة عمر بن الخطاب ، وبقي قبره معروفاً مع قبور
 أولئك الشهداء إلى عهد قريب ، في الضفة الجنوبية من الوادي ،

= وقال شاعر حنفي :

فلله عينا مَنْ رأى مثل مَعْشَرٍ
 أحاطت بهم آجالُهُمْ ، والبوائقُ
 فلم أرَ مثل الجَيْشِ ، جيش مُحَمَّدٍ
 ولا مثلنا يومَ احتَوَتْنا (الحدائقُ)
 أكرَّ ، وأحمى من فريقين جمَعُوا
 وضائقَ عليهم في (أباض) البوارقُ

فالشاعر ذكر (أباض) و (الحدائق) معاً ، مما قد يفهم منه أن الوقعة فيهما واحدة .
 ويصف الحموي (أباض) بأنه « لم يرَ نخلٌ أطولَ من نخلها » . وهذا الوصف يدلُّ على
 وجودها في مكان خصب ذي ترْبَةٍ تمتدُّ فيها عروقُ النخل حتى ترسخ وتثبت ، ومن ثم
 ترتفع فروعها فتطول ، وأرض تربتها بهذه الصفة لا تكون عادة في أعلى الوادي ، بل في
 منبسطه .

والوادي المنحدر من (بَوْضَا) في أعلى العرض ، واد صغير . والمتقدمون - كصاحب
 لسان العرب - نقل في وصف (أباض) ما يدلُّ على سَعَتِها فسمّاها (عَرْضاً) ، والعرض
 هو الوادي الواسع الذي تقع فيه القرى والزروع .
 فأين مَوْقع أباض ؟!

المقابلة لقرية (الجبيلة) التي كانت قديماً محلة من محلات بلدة
(عقرباء) التي وقعت فيها تلك الواقعة .

واستحرَّ القتال في حديقة كانت لمسيلمة بجوار تلك البلدة ،
تعرف باسم (حديقة الرحمن) ، لأنه كان يسمى (رحمان اليمامة)
فقتل في حديقته . وطرح في إحدى آبارها ، وسميت بعد ذلك
لكثرة ما جرى فيها من القتل (حديقة الموت) .

وكانت معروفة إلى زمن المأمون حيث بنى فيها والي اليمامة في ذلك
العهد إسحاق بن إبراهيم بن أبي حُمَيْضَة الأضاخي مسجداً^(١) جامعاً .

وكان مجاعاً بن مُرارة الحنفي قد شهد الواقعة مع خالد أسيراً ،
فلما رأى أن الحرب قد أنهكت المسلمين ، قال لخالد : هَلُمَّ لأصالحك
عن قومي .

فصالحه على أن يأخذ ما لدى الحنفين من ذهب وفضة وسلاح ،
وأن يأخذ نصف السبي . ولكن مجاعاً ذهب إلى قومه ، مُظهِراً بأنه
يريد استشارتهم ، فأمرهم بأن يعمدوا إلى الحيلة ، وأمر أن يلبس
النساء السلاح ، وأن يُشْرِفْنَ من الحصون .

ثم رجع إلى خالد وقال : إنهم أبوا قبول ما صالحتك عليه ، فإن
شئت أن تقبل ربع السبي ، وتدع ربعاً ؟

وكان خالد ومن معه حينما رأوا النساء في الحصون ظنَّوهن
رجالاً ، فقبلوا الصلح .

(١) فتوح البلدان ، للبلاذري .

وكتب خالد كتاباً بذلك هذا نصه :

« هذا ما قاضى عليه خالدُ بن الوليد مجاعةَ بن مرارة ، وسلمة بن عمير ، (وفلاناً وفلاناً خمسة آخرين) ، قاضاهم على الصفرَاء والبيضاء ، ونصف السبي ، والحلقة والكراع ، وحائط من كل قرية ومزرعة ، على أن يسلّموا ، ثم أنتم آمنون بأمان الله ، ولكم ذمة خالد ابن الوليد ، وذمة أبي بكر خليفة رسول الله ، وذمم المسلمين على الوفاء » .

فلما توثق مجاعة من الصلح ، وفتحت الحصون ، فلم ير خالد فيها إلا النساء فقال لمجاعة : ويحك خدعتني ؟! فقال له : قومي ولم أستطع إلا ما صنعت ! .

وقد أغار المسلمون على بعض قرى الوادي (العرض) قبل انعقاد الصلح ، فاستولوا عليها ، وسبوا أهلها . ومنها (القرية) و (عِرْقَة) وغيرهما ، وبعث بالسبي إلى المدينة .

ثم ارتحل خالد من وادي (أباض) إلى (الوُتْر) على الشاطئ الغربي منه ، بين قصور (حجر) في محلة تعرف الآن باسم (الخراب) . وكان فيها مسجد بقي معروفاً باسم (مسجد خالد) إلى عهدنا الحاضر بقرب القصر الذي بناه السيد خالد أبو الوليد القرقي الليبي ، أحد مستشاري المغفور له الملك عبد العزيز في تلك الناحية . ثم تزوج خالد ابنة مجاعة ، وأقام أياماً في منزله ، فلامه أبو بكر على زواجه .

وتم فتح اليمامة في السنة الثانية عشرة ، وسار منها خالد بعد أن
ولى عليها سمرة بن عمرو العنبري من تميم .
ثم قدم وفد بني حنيفة إلى الخليفة أبي بكر - رضي الله عنه -
مظهرين الطاعة والولاء ، وفيهم مجاعة بن مرارة ، فأقطعه أبو بكر
(الخَضْرَمَة) بالإضافة إلى ما أقطعه النبي ﷺ .
ثم في عهد عمر أقطعه عيناً تسمى (الزبا) تسقي (الخضرمة)
وتسقي (الصعفوقة) و (الخبية) ، وكلها في (الخرج) . وسمى
البكري العين (الربا) بالراء لا بالزاي .

(حَجَر) فِي صَدْر الْإِسْلَام

وقد بقيت حَجَر قاعدة لهذه البلاد في عهد الخلفاء الراشدين ، ثم في عهد بني أمية ، إلا أن ثاني وال عليها من قبلهم وهو إبراهيم بن عربي الكناني^(١) ، لما ولاه عبد الملك اليمامة ، اتخذ (العُقَيْر) مقراً له ، مع بقاء (حَجَر) هي القاعدة .
و (العُقَيْر) هذا كان يقع في متسع من وادي (العرض) أسفل من (العينة) .

ويفهم من وصف الجغرافيين لموقعه أنه كان في متسع الوادي بقرب (المَلْقَى) ، ولا يبعد أن يكون في موقع (المُعْدِر) ، وأن آثار القصر التي كانت باقية إلى هذا العهد ، والمعروفة بقصر (عجران) هي آثار (العقير) لتقارب الاسمين .

ويجد الباحث ذكراً كثيراً في أخبار الشعراء الإسلاميين في ذلك العهد ، مثل جرير الذي كان يسكن (حَجَرًا) .

ومثل ذي الرمة الذي مرض مرض الموت في (حجر) ثم أخرج إلى الدهناء فمات فيها^(٢) .

ورؤبة بن العجاج ، الذي اجتمع بجرير في (حجر) .

ويزيد بن الطُّثْرِيَّة الذي حبسه المهاجر بن عبد الله الكلابي والي اليمامة في (حجر) .

(١) انظر الحديث عنه مفصلاً في : (ابن عربي : موطن الحكم الأموي في نجد) لكتاب هذا البحث .
(٢) دفن ذو الرمة في نقا من أطول أنقية الدهناء ، يسمى (الفرنداد) بوضعية منه . انظر هذه المادة في (معجم البلدان) .

وسجن (حجر) المسمى (دَوَّار) الذي أنشأه ابن عربي ، وسجل شعراء ذلك العهد ما يقاسون فيه من بلاء في كثير من شعرهم مما يجده الباحث متفرقاً في كتب الأدب والتاريخ^(١).

وفي عهد بني العباس أصبحت الخلافة بعيدة عن العرب وعن بلادهم ، فأصبح أمر هذه البلاد مُهمَّلاً ، فبقيت مغمورة ، لا يعنى المؤرخون منها إلا بما له صلة بعناية الخلفاء ، كمكة ، والمدينة ، وطريق الحجاج ، وأخبار القبائل التي قد تخرج عن الطاعة ، أو تتعرض للحجاج بسوء . وبإيراد نتف موجزة من أخبار الشعراء الذين يفدون من هذه البلاد على الخلفاء في بغداد كآل أبي حفصة ، وآل جرير ، وأمثالهم من الشعراء . ولهذا جهل أمر حَجَر .

(١) نجد طرفاً من ذلك في بحث : (ابن عربي : موطد الحكم الأموي في نجد) .

يَوْمُ (قَاعِ حَجْرٍ) فِي الْعَهْدِ الْأُمَوِيِّ

لما قتل الخليفة الوليد بن يزيد الأموي في آخر جمادى الآخرة ، من سنة ست وعشرين ومائة ، كان والي اليمامة من قبل ذلك الخليفة علي ابن المهاجر بن عبد الله ، من بني البرزى ، ثم من بني كلاب بن عامر . وكانت البلاد في ذلك العهد تابعة من الناحية الإدارية للعراق ، وقد ولي علي هذا بعد أبيه ، ولاه يوسف بن عمر أمير العراق .

ولما بلغ خبر قتل الوليد اليمامة ، قام المهير بن سلمى الحنفي فأتى إلى والي الأموي علي بن المهاجر ، فخيرَه بين أمور : إما أن يعتزل العمل ، أو يترك البلاد ، أو يبقى في قصره . فلم يقبل ، بل صمم على حرب من حاول الخروج عن طاعته ، بعد إسداء النصيح له من كثير من أهل اليمامة .

فجمع المهير له جمعاً ، وسار إليه وهو في قصره في قاع (حَجْرٍ) فالتقوا بالقاع ، فكانت الهزيمة على علي ، فدخل قصره وتحصن فيه ، ثم وجد فرصة للهرب فهرب إلى المدينة ، بعد أن قُتل من رجاله أناس كثيرون ، واستولى المهير على اليمامة .

وفي ذلك يقول شاعر اليمامة يحيى بن أبي حفصة :

بَذَلْتُ نَصِيحَتِي لِبَنِي (كَلَابِ)

فَلَمْ تَقْبَلْ مَشَاوِرَتِي وَنُصْحِي

فِدَا لِبَنِي (حَنِيفَةَ) مَنْ سِوَاهُمْ

فَإِنَّهُمْ فَوَارِسُ كُلِّ فَتْحٍ

وقال شقيق بن عمرو السدوسي :
إذا أنتَ سألمتَ (المَهِيرَ) ورَهْطَهُ
أَمَنْتَ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَالْخَوْفِ وَالذَّعْرِ
فَتَيَّ رَاحَ يَوْمَ (الْقَاعِ) رَوْحَةَ مَا جَدَ
أَرَادَ بِهَا حَسَنَ السَّمَاعِ مَعَ الْأَجْرِ^(١)
وقد ورد اسم (حَجَر) في كامل ابن الأثير ، وفي تاريخ ابن
خلدون مُصَحَّفًا إِلَى (هَجَر) .

(١) الكامل، لابن الأثير ، (حوادث سنة ١٢٦) . وانظر : تاريخ ابن خلدون . وعن تفصيل ثورة المهير
انظر : (الثورات الداخلية في نجد في العهد الأموي) لكاتب هذا البحث .

حَجْرٌ فِي أَثْنَاءِ الْعَهْدِ الْعَبَّاسِيِّ

يكاد يتفق أكثر مؤرخي القرن الثالث على أن (حَجْرًا) في هذا القرن لا تزال قاعدة اليمامة .

فابن الفقيه يقول : اليمامة سُرةٌ نجد ، ومدينة نجد (حَجْرٌ) .

وأبو حنيفة الدينوري يقول : (حَجْرٌ) اليوم قصبة اليمامة ، وموضع ولائها وسوقها .

وصاحب كتاب (بلاد العرب) يقول : (حَجْرٌ) سُرةٌ اليمامة ، وهي منزل السلطان والجماعة ، ومنبرها أحد المنابر الأولية : مكة ، والمدينة ، واليمن ، ودمشق ، واليمامة ، والبحرين ، والكوفة ، وجلُّ أهلها بنو عُبَيْدٍ ، وبها من كل القبائل .

وكل من نقلنا كلامهم من أهل القرن الثالث .

الأخِضَرِيُّونَ يَحْكُمُونَ الْيَمَامَةَ

ويكاد المؤرخون يجمعون على أنه في النصف الثاني من القرن الثالث ، وعلى وجه التقريب في سنة ٢٥٣هـ استولى محمد الأَخِضَرُ على اليمامة ، واتخذ (الخَضْرَمَة) قاعدةً لملكه . وتداول الحكم بنوه منذ ذلك العهد إلى منتصف القرن الخامس ، كما يفهم من كلام الهمداني ، والمسعودي في مروج الذهب ، وابن حزم ، وناصر خسرو .

وعلى هذا فإن شمس مدينة (حَجْر) بدأت بالأفول منذ منتصف القرن الثالث رويداً رويداً ، حتى زالت من الوجود بحلول مدينة (الرياض) محلها بعد عشرة قرون على وجه التقريب .

وعلى ذكر (الأَخِضَرِيِّينَ)^(١) يحسن إيراد بعض النصوص

(١) بنو الأخِضَر ، أو الأخِضَرِيُّونَ : أسرة علوية ، من بني موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ثار أحدهم المدعو إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى في مكة سنة ٢٥١هـ فهرب عاملها ، ونهب إسماعيل منزله ، ووقع منه فساد كبير في مكة ، وقتل الجنود . ووافى الناس بعرفة فقتل من الحجاج ألفاً ومائة ، فهربوا إلى مكة ، ولم يقف بعرفة أحد ذلك العام . على ما ذكر صاحب (درر القوائد ، ص ٢٣٠) .

وذكر ابن حزم في كتابه (جمهرة النسب ، ص ٤٦) أن إسماعيل هذا حاصر المدينة حتى مات أهلها جوعاً ، ولم يصل أحد في مسجد رسول الله ﷺ .

ثم مات إسماعيل وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، فقام أخوه محمد الأَخِضَر (وإليه ينسب الأخِضَرِيُّونَ) وكان أسن منه بعشرين سنة ؛ وثار في اليمامة فملك أمرها . قال ابن حزم ، (ص ٤٦) : « وكان له من الولد : محمد وإبراهيم ويوسف وعبد الله ، وهم باليمامة ، ودار ملكهم بها الخَضْرَمَة . وولي يوسف مكان أبيه . فولد يوسف بن محمد بن يوسف : إسماعيل ، والحسن ، وصالح ، ومحمد .

فأما إسماعيل فأشركه أبوه يوسف بن محمد معه في الأمر في حياته ، ثم انفرد بولاية اليمامة بعد موت أبيه ، ثم مات .

القديمة، وكلها تدل على أنهم كانوا سيئي السيرة فلم يكن ضررهم قاصراً على إضعاف تلك المدينة ، وتشتيت أهلها عند غزوهم إياها ، بل شمل غيرها من مدن نجد في ذلك العهد . يقول ابن حوقل في كتابه^(١): «وأما اليمامة فواد ، والمدينة به تسمى (الخضرمة) دون مدينة الرسول ﷺ ، وهي أكثر نخيلاً وثمرًا من المدينة ومن سائر الحجاز ، وكانت قراراً لربيعه ومضر ، فلما نزل عليها بنو الأخيضر جلت العرب منها إلى جزيرة مصر ، فسكنوا بين النيل وبحر القلزم ، وقرت ربيعة ومضر هناك ، وصارت لهم ولتميم كالدار التي لم يزلوا بها ، وابتنوا بها غير منبر ؛ كـ (المحدثه) التي تظاهر (أسوان) وكـ (العلاقي) ، وهو المنهل الذي يجتاز به الحجيج إلى (عيذاب) وهم أهل معدن الذهب ، وإقامتهم عليه » .

ويقول ابن حوقل أيضاً^(٢): «وصادف دخول محمد بن يوسف الأخيضر اليمامة وانقشاع أهلها من جوره إلى أرض مصر والمعدن ، في آلاف كثير ، فغلبوا على من كان بها من أهل الحجاز ، وتكامل

= فولي أخوه الحسن بن يوسف ، ثم ولي بعده ابنه أحمد بن الحسن . ومنهم ولاتها اليوم » . انتهى كلام ابن حزم .

وقد فصل ابن عنبه في (عمدة الطالب) فروع الأخيضرين ، وذكر طرفاً من أخبارهم . وأورد ابن خلدون وغيره من المؤرخين خبر قيام دولتهم في اليمامة ، مما لا يتسع لذكره هذا البحث .

انظر : العبر لابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٩٨ وما بعدها ، الطبعة الأولى . وعمدة الطالب ، الورقة ٥٨ ، ٥٩ ، نسخة المكتبة السعودية في الرياض .

(١) صورة الأرض ، لابن حوقل ، ص ٣٨ ، طبعة بيروت .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٨ .

بالعلاقي قبائل ربيعة ومضر ، وهم جميع أهل اليمامة في سنة ثمان وثلاثين ومائتين في عهد المتوكل . كذا ذكر تاريخ استيلاء الأخيضريين على اليمامة . وغيره من المؤرخين يرى أنه بعد هذا التاريخ . ويؤيد هذا الرأي أن ابن جرير ساق أسماء ولاية اليمامة من قبل الخلفاء العباسيين بعد ذلك التاريخ ، مما يدل على أن اليمامة لا تزال تحت أيديهم . وذكر ياقوت الحموي في المعجم أن أهل مدينة (قُرَّان) في سنة ٣١٠ هـ انتقلوا من اليمامة إلى البصرة ، لحيف لحقهم من ابن الأخيضر في مقاسمتهم وجذب أرضهم .

وقد زار الرحالة الفارسي ناصر خسرو علوي^(١) اليمامة في آخر جمادى الآخرة سنة ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م) فوصفها كما يلي :

(١) ناصر خسرو : رحالة فارسي معروف ، ولد سنة ٣٩٤ هـ (١٠٠٣ م) ، والتحق بخدمة السلطان محمود الغزنوي ثم ابنه مسعود . ولما استولى السلاجقة على الشرق التحق بخدمة جفري بك السلجوقي حاكم خراسان ، وتولى أمر خزانته في (مرو) . ومن (مرو) قام برحلة زار فيها بيت المقدس ، ثم مصر ، فالخجاز ، فنجس ، ومنها سار إلى الأحساء ، فالبصرة ، ثم عاد إلى (بلخ) في المشرق . وقد مكث في رحلته هذه قرابة سبع سنوات ، فقد بدأها في ربيع الآخر سنة ٤٣٩ هـ ، وانتهى منها في آخر جمادى الآخرة سنة ٤٤٤ هـ . وقد وصلت إلينا هذه الرحلة مختصرة ، على ما يرى بعض الباحثين ، ولكنها تحوي كثيراً من المعلومات التي دونها الرحالة عن كثير من البلدان التي شاهدها مما لا نجده في كتاب ، وإن كان الرجل منحرفاً طريقة عن أهل السنة في آرائه .

ولعل من المفيد أن ننقل للقارئ وصفه لبعض ما شاهده في بلاد نجد من الرحلة التي وصلت إلينا باسم (سفر نامه) . وقد عرّبها الدكتور يحيى الخشاب ، وطبعت سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) في القاهرة ، قال بعد أن وصف الصحراء من الطائف إلى (فلج) المعروف الآن باسم الأفلاج وصفاً بلغ حداً من الروعة ، قال :

«فلج : ومن مكة إليها ثمانون ومائة فرسخ . وتقع (فلج) هذه وسط البادية ، وهي ناحية كبيرة ، ولكنها خربت بالتعصب . وكان العمران حيث زرناها قاصراً على نصف فرسخ في ميل =

« بلغنا اليمامة بعد مسيرة أربعة أيام بلياليها من (الأفلاج) .
وباليمامة حصن كبير قديم ، والمدينة والسوق - حيث صناع من كل
نوع - يقعان خارج الحصن ، وبها مسجد جميل .

= عرضاً ، وفي هذه المسافة أربع عشرة قلعة للمصوص والمفسدين والجهلة ، وهي مقسمة بين
حزبين بينهما خصومة وعداوة دائمة ، وقد قالوا : نحن من أصحاب الرقيم (*) الذين ذكروا
في القرآن الكريم . وهناك أربع قنوات يسقى منها النخيل . أما زرعهم ففي أرض عالية يرفع
إليها معظم الماء من الآبار ، وهم يستخدمون في زراعتهم الجمال لا الثيران ولم أرها هناك ،
وزراعتهم قليلة . وأجر الرجل في اليوم عشرة سيرات (**) من غلة ، يخبزها أرغفة ، ولا
يأكلون إلا قليلاً من صلاة المغرب حتى صلاة المغرب التالية ، كما في رمضان ، ويأكلون
التمر أثناء النهار . وقد رأيت هناك تمرأ طيباً جداً أحسن مما في البصرة وغيرها .
والسكان هناك فقراء جداً وبؤساء ، ومع فقرهم فإنهم كل يوم في حرب وعداء وسفك دماء .
وهناك تمر يسمى سمونه (ميدون) وزن الواحدة منه عشرة دراهم . ولا يزيد وزن النوى به عن
دائق ونصف . ويقال : إنه لا يفسد ولو بقي عشرين سنة . ومعاملتهم بالذهب النيشابوري .
وقد لبثت بفلج هذه أربعة أشهر في حالة ليس أصعب منها ، لم يكن معي من شؤون الدنيا
سوى سلتين من الكتب . والناس جياع وعراة وجهلاء . ويلتزمون حمل الترس والسيف إذا
ذهبوا للصلاة ، ولا يشتركون الكتب .
وكان هناك مسجد نزلنا فيه ، وكان معي قليل من اللونين القرمزي واللازوردي ، فكتبت
على حائط المسجد بيت شعر ، ووضعت في وسطه ورق الشجر ، فأرأوه وتعجبوا . وتجمع
أهل القلعة كلها ليتفرجوا عليه . وقالوا لي : إذا نقشت محراب هذا المسجد نعطيك مائة من
تمرأ ، ومائة من تمرأ عندهم شيء كثير ، فقد أتى - وأنا هناك - جيش من العرب وطلب
منهم خمسمائة من تمرأ فلم يقبلوا وحاربوا ، وقتل من أهل القلعة عشرة رجال ، وقلعت ألف
نخلة ، ولم يعطوهم عشرة أمنان تمرأ ، وقد نقشت المحراب كما اتفقوا معي ، وكان لنا في
المائة من التمر عون كبير ، إذ لم يكن ميسوراً أن نجد غذاء ، ولم يكن لدينا أمل في الحياة =

(*) هنا غلط في الترجمة ، إذ الأصل الفارسي : (الرسيم) وهو يعني : (الرّسّ) . وقد جاء
في بعض التفاسير أن الرّس هو فلج الأفلاج . أما (الرقيم) ففي بلاد المعجم .
(**) يزن السير خمسة عشر مثقالاً . شيفر ، ص ٢٢٠ .

وأهلها (علويون) منذ القديم ، ولم ينتزع أحد منهم هذه الولاية ،
إذ ليس بجوارهم سلطان أو ملك قاهر . وهؤلاء العلويون ذوو شوكة ،
فلديهم ثلاثمائة أو أربعمئة فارس .

ومذهبهم الزيدية ، وهم يقولون في الآذان : «محمد وعلي خير
البشر ، وحي على خير العمل» . وقيل : إن سكان هذه المدينة شريفة .

وباليمامة مياه جارية في القنوات ، وفيها نخيل ، وقيل : إنه حين
يكثر التمر يباع الألف من منه بدينار .

انتهى كلام ناصر خسرو .

= ولم تكن نستطيع أن نتصور خروجنا من هذه البادية ، إذ كان ينبغي للخروج منها ، من أي
طريق ، اجتياز مائتي فرسخ من الصحراء ، كلها مخاوف ومهالك ، ولم أر في الأشهر
الأربعة التي أقمتها بفلج خمسة أمان من القمح في أي مكان .
وأخيراً أتت قافلة من اليمامة لأخذ الأديم وحمله إلى الحسا ، فإنه يحضر من اليمن إلى
(فلج) حيث يباع للتجار .

قال لي إعرابي : أنا أحملك إلى البصرة . ولم يكن معي شيء قط لأعطيه أجراً ، والمسافة
مائتا فرسخ ، وأجرة الجمل دينار ، ويباع الجمل العظيم هناك بدينارين ، أو ثلاثة ، ولكنني
رحلت نسيئة إذ لم يكن معي نقود ، فقال الأعرابي : أحملك إلى البصرة على أن تأجرني
ثلاثين ديناراً ، فقبلت مضطراً ولم أكن قد رأيت البصرة قط ، فوضع هؤلاء الأعراب كتيبي
على جمل أركبوا عليه أخي ، وسرت أنا راجلاً .

وتوجهنا في اتجاه مطلع بنات النعش (الدب الأكبر) .
كان الطريق مستوياً لا جبال فيه ولا مرتفعات ، وكان ماء المطر متجمعاً حيثما كانت الأرض
أشد صلابة .

ومضت ليل وأيام ، ولم يد في أي جهة أثر الطريق ، إلا أنهم كانوا يسرون بالغريزة
(السمع) ، ومن العجيب أنهم كانوا يبلغون فجأة بئر ماء ، مع عدم وجود أي علامة .

فترة مجهولة التاريخ

منذ أن حَكَمَ الأَخِيضَرِيُّونَ اليمامةَ ، واتخذوا (الخَضْرَمَةَ) قاعدة لحكمهم ، بدأ شأنُ مدينة (حَجْر) يضعف شيئاً فشيئاً ، مدة ولاية أولئك . ويجد الباحث اختلافاً بين المؤرخين في تحديد زمن زوال تلك الدولة . فالأكثر يرون أن زوالها كان على يد (القرامطة) ، وهؤلاء حكموا (البَحْرَيْن) من آخر القرن الثالث الهجري حتى منتصف الخامس ، وعلى وجه التحديد سنة ٤٦٧ هـ . وجرت وقعة بينهم وبين الأخيضريين في اليمامة سنة سبع عشرة بعد الثلاثمائة من أعنف الوقعات ، قتل فيها عدد من مشاهير الأخيضريين ، ولهذا فكثير من المؤرخين يحددون زمن هذه المعركة - أو قريباً منه - زوالاً لبني الأخيضر من حكم اليمامة ، إلا أن هناك من النصوص التاريخية ما يثبت امتداد زمن حكمهم إلى منتصف القرن الخامس ، كما يفهم من وصف الرحالة الفارسي ناصر خسرو المتقدم . وما ذكره ابن عنبه في كتابه (عمدة الطالب) وغيره .

وهناك اضطراب بين المؤرخين في تعيين قاعدة اليمامة ، بعد زوال الأخيضريين .

فأبو بكر الحازمي المتوفى سنة ٥٨٤ هـ ، يقول : جَوَّ اليمامة قَصَبَةُ اليمامة . ويقال لبلدها : (الخَضْرَمَةُ)^(١) .

ونشوان بن سعيد الحميري اليمني المتوفى سنة ٥٧٣ هـ ينص في كتابه (شمس العلوم) على أن مدينة (حَجْر) هي قصبه اليمامة .

(١) معجم البلدان ، (مادة : الخَضْرَمَةُ) .

ومهما يكن من أمر فمما لا شك فيه أن حكم الأخيضريين قضى على تلك المدينة ، فَشَرَدَ أهلها ، وأضعف شأنها .

ثم بزوال الأخيضريين لم تحكم اليمامة حكماً قوياً ، ولم تقم فيها أية دولة ذات شأن ليهتم المؤرخون بأمرها ، فبقي اسم مدينة (حَجْر) لشهرتها القديمة ، واستمرت تعرف بأنها قاعدة اليمامة عند كل من كتب عن اليمامة من المؤرخين ، امتداداً لتلك الشهرة ، وتعويلاً على ما ذكره متقدمو المؤرخين ، لا أنها كانت قاعدة بالمعنى الحقيقي .

لأن بلاد (نجد) كلها أصبحت مجزأة إلى إمارات متفرقة ، أصبحت خاضعة للدويلات الصغيرة التي حكمت (البحرين) - البلاد التي يطلق عليها في عهدنا اسم (المنطقة الشرقية) - مثل (القرامطة) و (العُيونيين) و (الجُبَريين) الذين منهم أجود بن زامل الجبيري . وكل هؤلاء اتخذوا الأحساء قاعدة لحكمهم الذي امتد إلى بلاد نجد .

(حَجْرٌ) فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ الْهَجْرِي

ولم تزل (حَجْرٌ) قاعدة اليمامة في هذا القرن ، أي أشهر مدينة فيها . وقد زارها الرحالة ابن بطوطة في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فقال في وصفها : « ثم سافرت منها - يعني القطيف - إلى مدينة (هجر) ، وتسمى الآن بـ (الحساء بفتح الحاء والسين وإهمالهما) ، وهي التي يضرب المثل بها ، فيقال : كجالب التمر إلى هجر . وبها من النخيل ما ليس ببلد سواها ، ومنها يعلفون دوابهم ، وأهلها عرب ، أكثرهم من قبيلة عبد القيس بن أفصى .

ثم سافرنا منها إلى مدينة (اليمامة) .

وتسمى (حَجْرٌ) بفتح الحاء المهملة وإسكان الجيم ، مدينةٌ حَسَنَةٌ خَصْبَةٌ ، ذاتُ أنهار وأشجار .

يسكنها طوائف من العرب أكثرهم من بني حنيفة ، وهي بلدهم قديماً ، وأميرهم طفيل بن غانم .

ثم سافرت منها في صحبة هذا الأمير برسم الحج وذلك سنة ثنتين وثلاثين . انتهى .

وعندما تحدث ابن فضل الله العُمَرِيُّ . في كتابه (مسالك الأبصار) عن قبائل العرب في عهده في القرن الثامن قال :

بنو يزيد : دارهم (مَلْهَمٌ) ، و (بَنَانُ) ، و (حَجْرٌ) ، و (مَنْفُوحَةٌ) ، و (صِيَّاحٌ) ، و (الْبَرَّةُ) ، و (العُوَيْدُ) ، و (جَوْ) .

ثم قال : المَزَايِدَةُ : دارها : البَخْرَاءُ ، وَحَرَمَةٌ ، وهي حَرَمَةٌ أُخْرَى غير التي تقدم ذكرها ، وَسَيْحَةُ الدَّبِيلِ ، والحُلُوءَةُ ، والهَرِيمُ ، والْبَرِيكُ^(١) ، وَنَعَامٌ ، والخَرْجُ .

هذان النِّصَّانِ من ابن فضل الله العُمَرِيُّ ، يُضَافُ إليهما نَصٌّ ثالث هو ما أورده ابن لَعْبُون النجدي في تاريخه من شعر جَعِيثِي الْيَزِيدِي ، وهو من أهل الجزعة في وادي حَنِيفَةَ قُرْبَ المَصَانِعِ ، وَنَصَّهُ فِي رِثَاءِ (مُقَرَّن بن أَجُود بن زامل) أحد وَلَاةِ الأَحْسَاءِ الذي قتله البرتغاليون سنة ٩٢٨ هـ من الشعر العامي :

(١) كل المواضع التي ذكرها ابن فَضْلُ الله لا تزال معروفة إلا (الهريم) و (حَرَمَةٌ) فالمعروف بهذا الاسم (حَرَمَةٌ) الواقعة بقَرْبِ المَجْمَعَةِ في شمال العارض ، وهذه التي ذكرها في جنوبيه . أما حَرَمَةُ المعروفة فقد ذكرها بهذا النص : « عَائِدٌ » بنو سعيد : دارهم من (حَرَمَةٌ) إلى (جَلْجَل) و (التَّوَيْم) و (وادي القُرَى) ، وليس بالوادي المقارب للمدينة الشريفة النبوية ، زادها الله شرفاً ، ويعرف بـ (العارض) و (رُمَاح) و (الحَفَر) .

قلت : وحدثني أحمد بن عبد الله الواصلي أن بلادهم ببلاد خَيْر ، ذات زرع وماشية ، بقرى عامرة ، وعيون جارية ، ونعم سارحة ، ولأرضهم بذلك الوادي منعة وحصانة . قال : وقد كان المظفر بيبرس الجاشنكير يهجم بقصده ، واللحاق به ، والمقام فيه ، وأن يكون فيه كواحد من أهله ، مُرتزقاً من سوائم الإبل والشاء ، قال : ثم انشئ رأيته عن ذلك آخر وقت ، ولو وَجَّهَ إليه وَجْهَهُ كان أحمد مُنتَجِعَهُ ، وأدنى لعوده إلى صلاح الحال ، ومُرتَجِعَهُ . انتهى كلام ابن فضل الله .

وقال أيضاً : « عَرَبُ العارض : و (العارض) وراء (الوَشْم) و (الوَشْم) هو الذي ينتهي إليه آل فَضْل ، إذا توسعوا في البر : بنو زياد ، والحملة (كذا بدون نقط) .

وعَرَبُ الخرج : وهم العفصان ، والبرحان . ومن بلادهم : (الْبَرِيك) و (النَّعام) ، وهما قريتان في وادٍ منيع إذا حُصِّنَ مدخله بسور كان أمنع بلاد الله .

قال ابن عَزَام : وإلى هذا الوادي أزمع (تُنَكَّرُ) على الهَرَبِ حين خاف من الملك الناصر .

وعليه طريق ركب (الحسا) ، وعليه ممر الركب من (الحسا) و (القَطِيف) ، وفيه يقول بعضهم : لَمَلِكٌ تُوْطِئُني بُرِيكًا وَأَهْلُهُ وَلَوْ بَانَ بِالْحُجَّاجِ عَنْهُ طَرِيقٌ

هذا نص كلام ابن فَضْلُ الله في : مسالك الأبصار ، المجلد الرابع ، الورقة ٩١ ، مخطوطة (آيا صوفيا - إصطنبول) ، رقم ٣٤١٧ .

(نَجْدٌ) رَعَا رَبْعِي زَاهِي فَلَاتُهَا
 عَلَى الرَّغْمِ مِنْ سَادَاتِ (لَام) و (خَالِدِ)
 وَ سَادَاتِ (حَجْرٍ) مِنْ (يَزِيدِ) و (مَزِيدِ)
 قَدْ افْتَادَهُمْ قَوْدَ الْفَلَا بِالْقَلَايِدِ
 النصوص الثلاثة تَدُلُّ عَلَى أَنَّ رِئَاسَةَ (حَجْرٍ) كَانَتْ (لآلِ يَزِيدِ)
 و (آلِ مَزِيدِ) ، وَهُمْ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ ، كَمَا ذَكَرَ ابْنُ بَشِيرٍ ^(١) وَغَيْرُهُ مِنْ
 مُؤَرِّخِي نَجْدٍ .

وَقَدْ بَقِيَ لَهُمْ نَفُوذٌ وَذِكْرٌ حَتَّى الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ الْهَجْرِيِّ .
 وَذَكَرَ أَبُو الْفَدَاءِ الْمَتَوْفَى سَنَةَ ٧٣٢ هـ فِي كِتَابِ تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ (حَجْرًا)
 مُعْرِفَةً بِاللَّامِ (الْحَجَرِ) ^(٢) نَقْلًا عَنْ (الْمُشْتَرَكِ) لِيَاقُوتَ ، وَهُوَ وَهُمْ وَقَعَ
 مِنْ يَاقُوتٍ ^(٣) ، وَعَدَّهَا مَدِينَةَ الْيَمَامَةِ . وَأُورِدَ عَنْ بَعْضِهِمْ قَوْلُهُ :
 « وَالْحَجَرُ مَنَازِلُ بَنِي حَنِيفَةَ وَبَعْضُ مُضَرٍ ، وَبِحَجَرِ قُبُورِ الشَّهَدَاءِ الَّذِينَ
 قَتَلُوا فِي حَرْبِ مَسِيلِمَةَ الْكَذَّابِ ، فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ ، وَحَجَرَ عَنِ الْيَمَامَةِ فِي الْغَرْبِ وَالشَّمَالِ ، وَبَيْنَهُمَا نَحْوُ مَرَحَلَتَيْنِ » .
 وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ قُبُورَ الشَّهَدَاءِ فِي وَادِي حَنِيفَةَ ، بِقَرَبِ الْجُبَيْلَةِ وَلَيْسَتْ
 فِي حَجْرٍ .

(١) عنوان المجلد ١/١٦ ، الطبعة الأولى .

(٢) وقبله ابن رُسْتَةَ ، فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهَجْرِيِّ ، فِي كِتَابِ (الْأَعْلَاقِ النَّفِيسَةِ) . وَالبشاري ، مِنْ
 أَهْلِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ ، فِي كِتَابِ (أَحْسَنِ التَّقَاسِيمِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَقَالِيمِ) .

(٣) هَذَا نَصُّ كَلَامِ يَاقُوتَ فِي (الْمُشْتَرَكِ) قَالَ : « بَفَتْحِ الْحَاءِ وَسُكُونِ الْجِيمِ الْأَوَّلِ الْحَجَرُ : مَدِينَةُ
 الْيَمَامَةِ ، وَبِهَا مَنْزِلُ الْوَالِيِّ ، وَأَهْلُهَا بَنُو عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ ، ثُمَّ صَارَتْ فِي الْإِسْلَامِ
 خُطَطًا كَالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ ، وَلَهَا قِصَّةٌ طَوِيلَةٌ مَمْتَعَةٌ ذَكَرْتُ فِي الْمَعْجَمِ » .

(حَجْر) في القرن التاسع الهجري

من أبرز أخبار مدينة (حَجْر) في منتصف هذا القرن (٨٥٠ هـ) ما ذكره بعض المؤرخين عن وفود ربيعة بن مانع الجد الثاني عشر للمغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل على صاحب (حَجْر) و (الجزعة) وهو ابن درع ، وربيعة هذا من عشيرة ابن درع .
ولهذا منحه ابن درع أرضين في نواحي (الدرعية) هما الملييد و (غَصِيَّة) فعمر ربيعة وبنوه هذين الموضعين وما بقربهما ، وملكوا ما حولهما ، فأنحصر ملك (آل يزيد) الحنفين بما فوق هذين الموضعين من الوادي من (سمحة) و (الوصيل) و (النعمية) إلى (الجُبيلة) ، ومن (الجُبيلة) إلى (الأَبْكَيْن) إلى موضع (حُرَيْمَاء) لابن طوق ، جد آل معمر .

وما زال آل ربيعة بن مانع ينتشرون ، ويزدادون قوة في هذه النواحي ، حتى قام الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بدعوته الإصلاحية لتجديد الدين الحنيف ، حيث انتقل حوالي سنة ١١٥٨ هـ إلى (الدرعية) من (العيينة) ، فوجد في كَنَف أميرها الإمام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع ، وجد في كنفه المؤازرة والرعاية ، فقامت بذلك الدولة السعودية .

مدينة (حَجْر) تصبح قرى متعددة الأسماء

توالى الفتن والقتال في جزيرة العرب منذ بدأ الضعف في الخلافة العباسية ، في القرن الثالث الهجري ، ومنذ ذلك العهد بدأ شأن مدينة (حَجْر) يقل ويضعف ، وزاد في ضعفها قلة الأمطار في سنوات متوالية ، واشتداد عوامل الجذب والجفاف ، مما أضعف الزراعة التي هي المصدر الرئيس لحياة تلك المدينة ، حتى أصبحت في القرن العاشر الهجري عبارة عن (قرى) صغيرة متفرقة . منها : (مَقْرَن) و (معْكَال) و (العَوْد) و (البَنِيَّة) و (الصُّلَيْعَاء) و (جَبْرَة) و (الخُرَاب) . وكلها كانت قديماً من محلات مدينة (حَجْر) يتصل بعضها ببعض . ومنذ ذلك العصر بدأ يختفي اسم (حَجْر)^(١) ، وتبرز أسماء هذه المحلات التي أصبحت قرى .

(١) بقي اسم (حَجْر) معروفاً إلى منتصف قرننا الحالي ، حيث كان يطلق على قصر على شفير البطحاء فيه نخل ، ثم انحصر الاسم في بئر ذلك النخل ، فصارت تعرف بـ (بئر حَجْر) ، ثم ردمت هذه البئر ، وبنى وزير المالية في أرضها دكاكين أصبحت تعرف بشارع الوزير ، وهو الآن شارع الملك فيصل .

(مِكَال) تَحِلْ مَحَل (حَجَر)

فنجِد من أخبار تلك المحلات أن شريف مكة حسن بن أبي نمي في عام ٩٨٦ هـ غزا بلدة (مِكال) ، وحاصرها مدة من الزمن ، بجنود يقدرهم العصاميُّ مؤرِّخ مكة في كتابه (سمط النجوم العوالي) بخمسين ألفاً ، حتى استولى عليها ، وقتل من أهلها رجالاً ، وأخذ منها أموالاً ، وأسر بعض رؤسائها عامّاً كاملاً في مكة ، ثم أطلقهم بعد أن تعهدوا له بدفع مُقرَّر سنوي . وأمر في البلدة رجلاً يدعى (محمد بن عثمان بن فضل) يصفه العصامي قائلًا^(١) : « حيث لم يبق من بيت سلطنتهم إلا هذا » .

ويسجل أحد شعراء مكة - محمد بن علي بن إسماعيل الطبري (٩٣٢ - ١١١٠ هـ) - هذه الواقعة ، ووقعة أخرى في نواحي الخرج ، بقصيدة يقول فيها :

ويحسب الناس من أهل (البديع) ومن

أهل (السليمية) الغبرا ، و (معكانا)

أو (آل خالد) من أهدي ضلالتهم

نفوسهم فغدوا هدياً وقرباناً^(٢)

(١) سمط النجوم ٤ / ٣٦٨ .

(٢) أورد القصيدة كاملة ابن فتح الله الحلبي ثم المكي في كتابه : (فوائد الارتحال ونتائج السفر) في ترجمة الشاعر المذكور .

بين بلدتي (معكال) و (مقرن)

لا أدري هل قول الشاعر العامي (النبطي) :
ياما حلّى والشمس باد شَعَقَهَا ضَرْبَ (الهَنَادِي) بَيْنَ (مُقْرَن) و (مَعْكَال)
هل يدل على حدوث فتن وحروب بين هاتين القريتين اللتين
كانتا محلتين من محلات مدينة (حَجْر) القديمة ؟! إلا أن الباحث لا
يجد ذكراً لبلدة (معكال) التي يدل حصار شريف مكة لها ، مع كثرة
جنده في القرن العاشر على قوتها ، وإنما يجد تنقاً من الأخبار تتعلق
بقرية (مقرن) .

ففي ربيع الأول من عام ١٠٣٣هـ قتل أولاد مفرج بن ناصر
(صاحب بلدة مقرن) حسب تعبير مؤرخ نجد ابن بشر .
ثم استيلاء (آل مُدِيرِس) في سنة ١٠٣٧هـ على هذه البلدة .
وفي سنة ١٠٥٦هـ قتل محمد بن مهنا أمير مقرن .
وفي سنة ١٠٩٩هـ تولى سلامة أبو زرعة بلدة مقرن .
ويظهر من اهتمام مؤرخي نجد بتسجيل هذه الحوادث أن بلدة
(مُقْرَن) أصبحت قاعدة الإقليم ، بعد (معكال) .
ولا ينبغي أن تفوت الإشارة إلى نص أورده ابن بشر في تاريخه ، هو
أنه في سنة تسع وأربعين وألف توفي قاضي الرياض أحمد بن ناصر^(١) .
إذ يفهم من هذا أن اسم (الرياض) بدأ إطلاقه على هذه المدينة في القرن
الحادي عشر ، غير أن إبراز حوادث بلدة (مقرن) حتى نهاية هذا القرن
يدل على عدم إطلاق اسم الرياض على هذه المدينة في ذلك القرن ، وأن
ابن بشر يعني بلدة (مقرن) التي شملها في عهده اسم الرياض .

(١) عنوان المجلد ١ / ٤٦ .

بدء بروز اسم الرياض

استمرت إمارة (آل زَرَعة) في بلدة (مقرن) حتى كان آخرهم زيد بن موسى الذي توفي وخلف طفلاً صغيراً فتولى الإمارة أحد مواليتهم المدعو (خميس) ثلاث سنوات ، ثم قتل ، وحل محله دهاَم ابن دواَس بن عبد الله آل شعلان ، من أهل منفوحة ، وكان صهراً لزيد ابن موسى ، خالاً لابنه الصغير ، فتولى الإمارة في أول الأمر وصياً على الطفل ، ولكنه فيما بعد استبد بالأمر ، وحكم هذه البلدة قرابة ثلاثين سنة .

وفي هذه الحقبة برز اسم الرياض بعد زوال اسم حجر عنها ، وانحصاره في جزء صغير من موضع المدينة القديم ، وما زال يتقلص حتى صار علماً لبئر كانت تقع على الضفة الغربية من وادي (الوتر) المعروف الآن باسم (البطحاء) في داخل مدينة الرياض في هذا العهد ، فيما بين شارعي الملك سعود ، والملك فيصل ، وسط أبنية دكاكين وزير المالية في عهد الملك عبد العزيز ، الشيخ عبد الله بن سليمان رحمهم الله تعالى .

مَدِينَةُ الرِّيَاضُ تَقُومُ عَلَى أَطْلَالِ (حَجَر)

وفي القرن الثاني عشر أطلق اسم الرياض على ما بقي من المحلات القديمة من مدينة حجر : (معكال) و (مقرن) و (العود) وغيرها ، وما حولها من الأرض الواسعة التي كانت في القديم بساتين وحدائق ، تتخلل مدينة حجر ، وتطيف بها ، فغمرت ثم صارت مجمعا للسيول إبان نزول الأمطار ، تجود بمختلف النباتات في زمن الربيع ، ولهذا صارت تدعى (الرياض) .

الرياض في عهد دهم بن دواس

وقد جرى لهذه المدينة في عهد دهم بن دواس أحداث عظيمة منها:

أ - أنه أدار على تلك المحلات المتناثرة سوراً لا تزال آثاره باقية في بعض جهات المدينة ، وبنى القصر الذي أصبح فيما بعد مقراً للإمارة والحكم حتى هدمه ابن رشيد في شهر صفر سنة ١٣٠٩ هـ . وكان بناء الحصون وتشيد القصر والسور حوالي سنة ١١٦٠ هـ عندما استعرت نار الحرب بينه وبين الدولة السعودية إبان قيامها بنصرة الدعوة الإصلاحية الدينية التي كان دهم من أشد المعارضين لها .

ب - توالى الحروب على هذه المدينة قرابة ٢٨ سنة من عام ١١٥٩ هـ إلى عام ١١٨٧ هـ ، وبلغ عدد الغزوات التي شنّها الإمامان محمد بن سعود وابنه عبد العزيز نحو خمس وثلاثين غزوة ، قتل فيها من الفريقين أربعة آلاف ، وها هو بيان تلك الغزوات :

سنة ١١٥٩ هـ :

- ١ - وقعة غير مسماة .
- ٢ - وقعة الشَّيَّاب .
- ٣ - وقعة (الوشام) .
- ٤ - وقعة العبيد .

سنة ١١٦٠ هـ :

- ٥ - وقعة دلّقة . وتسمى وقعة (الشَّرَاك) وهو موضع في الرياض .

- ٦ - وقعة (البنيّة) موضع معروف في الرياض . جاء المهاجمون مع وادي (الوُتر) بين البنيّة وبين (العَوْد) .
٧ - وقعة (مُقَرْن) و (صِيَا ح) .
٨ - وقعة (الخُرَيْزَة) في صِيَا ح .

سنة ١١٦٢هـ :

- ٩ - وقعة (الحُبُونِيَّة) نخل معروف في الرياض .

سنة ١١٦٣هـ :

- ١٠ - وقعة (البُطَيْحَاء) ، ومكان الوقعة (المَرَوَّة) .

سنة ١١٦٤هـ :

- ١١ - وقعة غير مسماة .
وبعدها هُدنة وصلح مع دهام، وفي عام ١١٦٨هـ انتقض الصلح .

سنة ١١٧٠هـ :

- ١٢ - وقعة (الرشاء) قرب منفوحة .
١٣ - وقعة الباب القبلي في الرياض .
١٤ - وقعة البنيّة .
١٥ - وقعة غير مسماة .
١٦ - وقعة (أم العصافير) واختفى الكمين في (القبة) .
١٧ - وقعة (البنية) الثالثة، وبناء قصر (الغدوانة) لمضايقة الرياض .

سنة ١١٧٣هـ :

- ١٨ - وقعة (آل ريس) .

سنة ١١٧٤هـ :

- ١٩ - وقعة غير مسماة .
- ٢٠ - وقعة ليلة العيد .

سنة ١١٧٥هـ :

- ٢١ - وقعة (مُقرن) .

سنة ١١٧٦هـ :

- ٢٢ - وقعة غير مسماة .
- ٢٣ - وقعة غير مسماة .

سنة ١١٧٧هـ :

- هدنة و صلح .

سنة ١١٧٩هـ :

- نكث وارتداد من دهام .
- ٢٤ - وقعة (بروج جصّان) .

سنة ١١٨٠هـ :

- ٢٥ - وقعة العدوّة .
- ٢٦ - وقعة (البنية) .

سنة ١١٨١هـ :

- ٢٧ - وقعة (المشيقيق) .
- ٢٨ - وقعة (المجوز) مكان في الرياض .

سنة ١١٨٢هـ :

٢٩ - وقعة غير مسماة .

سنة ١١٨٥هـ :

٣٠ - وقعة غير مسماة .

٣١ - وقعة قتل ابن دواس في صفاة الظهرية بين (عركة) و(الفوارة).

٣٢ - وقعة غير مسماة .

سنة ١١٨٦هـ :

٣٣ - وقعة غير مسماة .

٣٤ - وقعة غير مسماة .

سنة ١١٨٧هـ :

٣٥ - وقعة (هدم المرقب) في الرياض .

وبعدها في شهر ربيع الثاني هرب دهام من الرياض ، ودخلها

الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود بن مقرن رحمه الله ، وولى

الأمير عبد الله بن مقرن بن محمد بن مقرن إمارتها .

مَدِينَةُ الدَّرْعِيَّةِ تَصْبِحُ قَاعِدَةً لِلْبِلَادِ

أرهقت الفتن والحروب مدينة الرياض في القرن الماضي ، وضعف شأنها منذ أن أصبحت مدينة (الدرعية) قاعدة للمملكة ، من سنة ١١٥٨هـ إلى سنة ١٢٣٣هـ عندما استولى عليها الغزاة المصريون . وكان موقف أمير الرياض أثناء حصار الدرعية غير مشرف . ويتحدث ابن بشر في تاريخه عن الحصار فيقول^(١): «ولما كان وقت نزوح ثمرة النخيل، أرسل الإمام عبد الله بن سعود إلى عِرْقَةٍ مائة رجل ليحفظوا ثمرتها، فسار إليهم الباشا بعسكر كثير ، ومعه أمير الرياض ناصر بن حمد بن ناصر العائذي ، ومعه عدة رجال من أهل الرياض ، وأهل منفوحة ، وأهل الخَرْج وغيرهم ، فحاصر من فيها ، وأخرجهم.» انتهى.

وعندما قام محمد بن مشاري بن معمر واستولى على الدرعية - بعد رحيل الغزاة عنها - في آخر عام ١٢٣٤هـ كان أمير الرياض العائذي من المعارضين له ، حتى ثار الأمير مشاري بن سعود على ابن معمر في جمادى الآخرة سنة ١٢٣٥هـ ، فانقاد العائذي له .

ولكن أمر مشاري لم يتم ، فألقى ابن معمر القبض عليه ، وسار إلى الرياض فدخلها وأمر فيها ابنه مشاري بن محمد .

ثم قام الإمام تركي بن عبد الله آل سعود ، واستولى على الدرعية في شهر ربيع الأول من السنة نفسها (أي سنة ١٢٣٥هـ) ، ثم على الرياض ، بعد أن ألقى القبض على مشاري أميرها ، وقتله مع أبيه في آخر شهر ربيع الأول .

(١) عنوان المجلد ١ / ٢٠٢ .

غير أن الامام تركي لم يستقر في الرياض ؛ فقد هاجمه غزاة من العساكر المصرية بقيادة خليل آغا ، ومعهم فيصل الدويش .

ثم قدم لهم مدد بقيادة حسين بك أبي ظاهر في سنة ١٢٣٦ هـ ، فدخلوا المدينة ، وحاصروا الإمام (تركي) في قصره ، ولكنه هرب ليلاً ، فعاشت العساكر ومن معهم من البادية في المدينة ، وعاملوا أهلها معاملة سيئة ، وقتلوا منهم نحو سبعين رجلاً ، نزلوا من القصر بالأمان ، ولكنهم عوملوا بالخيانة . ولما استولى أبو ظاهر عليها أعاد أميرها ناصر بن حمد بن ناصر العائذي لإمرتها ، وجعل عنده حامية من العسكر بقيادة أبي علي البهلولي المغربي .

ثم أمد هذه الرتبة بمدد بقيادة إبراهيم كاشف أبي ظاهر ، أخيه ، وذلك في سنة ١٢٣٧ هـ . فقام إبراهيم هذا ، ومعه أمير الرياض في شهر ذي الحجة من هذا العام بغزو قبيلة (سبيع) في (حائر سبيع) ، ولكن هذه القبيلة هزمت الغزاة شر هزيمة ، وقتلت منهم أكثر من ثلاثمائة ، ومن القتلى أمير الرياض ناصر بن حمد العائذي ، فتولى أخوه عبدالله بن حمد الإمارة .

وفي سنة ١٢٣٨ هـ استقر الإمام فيصل بن تركي في بلدة (عرقة) وانقاد له بعض زعماء نجد ، فسار إليه أبو علي البهلولي المغربي بمن معه من العساكر وأهل الرياض في أول عام ١٢٣٩ هـ فحاصر (عرقة) ، ولكنها صمدت لهم ، حتى رجعوا خائبين .

الرياض تصبّح قاعدة للبلاد

وفي سنة ١٢٤٠هـ سار الإمام تركي إلى الرياض ، وحاصر من فيها من العساكر ، وأمر بإتلاف زروعها وصرام نخيلها . وبعد شهر من الحصار، أقبل فيصل الدويش مدداً لأهل الرياض ، ففك عنها الحصار. وبعد خروج الدويش منها بعد أن أقام فيها شهراً أعاد الإمام فيصل الحصار عليها^(١) ، وشدده حتى طلب قائد الحامية المصرية أبو علي البهلولي المغربي الصلح ، فأجابه الإمام فيصل^(٢) إلى ذلك على خروج العساكر من المدينة وعودتهم إلى بلادهم ، وتأمين جميع المحاربين معهم، ومنهم أمير الرياض عبد الله بن ناصر العائذي ، فتم ذلك ، وعين الإمام تركي ابن عمه مشاري بن ناصر بن مشاري بن سعود أميراً في الرياض ، يرتب شؤونها ، ويضبط أمورها ، حتى انتقل الإمام إليها واتخذها قاعدة للملك من منتصف هذا العام ١٢٤٠هـ .

ومنذ ذلك العهد حتى مطلع القرن الرابع عشر الهجري أصبحت مدينة الرياض قاعدة للدولة السعودية في دورها الثاني ، أي قرابة ستين^(٣) سنة ، ولكن هذا الدور كان مشحوناً بالقلق والحروب ، والخلافات الداخلية ، مما نجمل ذكر بعضها فيما يلي :

(١) ورد لدى المؤرخ عثمان بن عبد الله بن بشر أن فيصل الدويش أقام عند أهل الرياض أياماً وليس شهراً ، وأن الذي أعاد الحصار على الرياض هو الإمام تركي وليس الإمام فيصل . انظر : عثمان ابن عبد الله بن بشر . عنوان للمجد في تاريخ نجد . (الرياض : دار الملك عبدالعزيز ، ١٤٠٣هـ ، الطبعة الرابعة ، الجزء الثاني ، ص ٣٤) . (الدائرة).

(٢) الصحيح : الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود . (الدائرة)

(٣) الصحيح : أنها حوالي تسعة وستين عاماً . (الدائرة)

في آخر ذي الحجة من عام ١٢٤٩هـ قتل الإمام تركي ، قتله ابن عمه ، وابن أخته مشاري بن عبد الرحمن بن مشاري بن سعود . واستولى على الرياض أربعين يوماً ثم قتل في ١١ صفر سنة ١٢٥٠هـ ، وتم الأمر للإمام فيصل بن تركي إلى آخر عام ١٢٥٢هـ حينما قدمت العساكر المصرية بقيادة إسماعيل آغا ومعه خالد بن سعود إلى نجد ، فانقاد له كثير من زعمائها ، فخرج الإمام فيصل من الرياض في يوم الخميس في ٢٤ ذي الحجة سنة ١٢٥٢هـ^(١).

(١) أورد ابن بشر أن الإمام فيصل بن تركي نزل عنيزة في يوم ٢٥ ذي الحجة سنة ١٢٥٢هـ ، ثم غادرها وقصد الرياض . انظر : عثمان بن بشر . عنوان المجلد . الجزء الثاني ، ص ١٤٣ . (الدارة) .

الرياض في عهد الإمام فيصل رحمه الله

وفي ٧ صفر سنة ١٢٥٣هـ وصلت الجيوش المصرية الرياض فنزل إسماعيل و خالد القصر ، وبقيت الحرب سنة ١٢٥٤هـ حيث أرسل خورشيد باشا فوجاً آخر من العساكر المصرية بقيادة ملا سليمان الكردي ، فحل هذا الفوج محل إسماعيل آغا وعسكره الذين أنهكتهم الحرب فرجعوا إلى مصر .

وقد قاست هذه المدينة ضيقاً وشدة أثناء الحرب بين الإمام فيصل وبين خالد ومن معه من العساكر ، فإن الإمام فيصل بعد أن علم بالهزيمة الشنعاء التي مني بها خالد وعسكره ، من أهل (الحلوة) و (الحوطة) و (الحريق) في منتصف شهر ربيع الثاني سنة ١٢٥٣هـ هاجم مدينة الرياض في أول جمادى الآخرة ، وحاصرها أكثر من سبعين يوماً وقطع عنها السبل ، فلقي أهلها شدة وعناء ، حتى أكلوا لحوم خيل العساكر ، ثم رحل عنها الإمام فيصل حينما علم بقدوم مدد لها ، مع فهيد الصيفي رئيس قبيلة سبيع .

وفي أول رجب من هذا العام^(١) قدم خورشيد باشا بما معه من الجنود إلى الرياض ، وسار منها ومعه خالد للحرب الإمام فيصل في الدلم في (الخرج) ، وبعد معارك بين الفريقين تم بينهما الصلح في آخر شهر رمضان^(٢) ، وأخذ الإمام فيصل أسيراً إلى مصر ، وبقي خالد

(١) أورد ابن بشر أن خورشيد باشا رحل من عنيزة في آخر شهر رجب سنة ١٢٥٤هـ، ونزل الوشم، ثم سار إلى الرياض. انظر : عثمان بن بشر. عنوان المجد . الجزء الثاني، ص ١٦٥ . الدارة).

(٢) كان ذلك في سنة ١٢٥٤هـ. انظر : ابن بشر. عنوان المجد . الجزء الثاني، ص ١٧٢ . الدارة).

والياً على نجد من قبل العساكر المصرية ، إلا أن القسم الجنوبي (الحوطة والحريق) لم يدعن له .

وفي شهر شعبان سنة ١٢٥٧هـ عندما شاهد استيلاء أهل نجد من معاملة العساكر السيئة ، وكراهيتهم لهم خرج من الرياض ، وأقام فيها أميراً حمد بن عياف ، إلا أن أحد آل سعود وهو الأمير عبد الله بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان بن سعود ، قد نجح في ثورته ضد أولئك ، فانتصر عليهم بعد معارك بين أنصاره ومن في الرياض من الجند ، واستولى عليها في شهر شوال من عام ١٢٥٧هـ ثم استقام له الأمر في نجد إلى ١٢ جمادى الأولى سنة ١٢٥٩هـ حيث قدم الإمام فيصل من مصر ، وتم له الاستيلاء على المدينة ، وتوفي ابن ثنيان في سجنه في منتصف جمادى الآخرة .

وقد استقام الأمر للإمام فيصل حتى توفي في ٢١ رجب ١٢٨٢هـ فخلفه ابنه الإمام عبد الله .

وفي السنة الأولى من عهده أمر ببناء القصر المعروف الآن باسم (المصمك)^(١) ، وحل محل قصر دهام الذي كان مقراً للحكم ما يقارب ٨٠ عاماً .

ويضطرنا تسجيل حوادث هذه المدينة ، وتدوين تاريخها إلى الإشارة إلى الخلاف بين الإمام عبد الله بن فيصل وبين أخيه سعود ، ثم أبناء أخيه ، ذلك الخلاف الذي لم يكن من أثره السيئ تعرض هذه

(١) المصمك : المسمك أي الرفيع ، ومنه قول الفرزدق :
 إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول
 ويجوز أن يكون من (المصمت) أي الذي لا ينفذ إليه .

المدينة لكثير من ضروب الأذى فحسب ، بل كان سبباً في زوال حكم تلك الأسرة الكريمة .. في الماضي . ولن نشير من هذه الناحية إلا لما له صلة بتاريخ الرياض .

ففي عام ١٢٨٨ هـ أثناء دخول سعود بن فيصل المدينة وخروج الإمام عبد الله منها حصل من الغزاة الذين معه - وجلهم من البدو من العجمان وغيرهم - عبث وفساد ، مما أوغر الصدور على سعود فحاصره أهل الرياض ، بقيادة عمه عبد الله بن تركي بن عبد الله حتى طلب الأمان على أن يترك البلاد^(١) ، وتولى عبد الله بن تركي إمارتها حتى رجع إليها الإمام عبد الله ، فاستقبله أهل المدينة بالغبطة والسرور . وقد بعث سرية إلى الخرج لحمايتها^(٢) ، ولكن سعوداً هزمها ، وكان ممن أسر من رجالها عمه عبد الله بن تركي الذي تولى إمارة الرياض ، فمات أسيراً في شهر ذي القعدة سنة ١٢٨٩ هـ .

يقول الأمير سعود بن هذلول في (تاريخ آل سعود) واصفاً ما جرى للرياض حين دخلها سعود سنة ١٢٨٨ هـ ، ص ٣٤ : « فلما علم عبدالله بمقتل رجاله [في الجزعة] وأخذ الأموال التي معهم ، هرب من الرياض ، وتركها للفوضى ، وقصد قحطان ، فدخل سعود الرياض دون مقاومة ، واستولى عليها ، ونهبت جنوده الرياض ، وعاثت فساداً فيها ، واستأصلوا في نهبهم وسلبهم إلى ما وراء الرياض ، بل وصلوا

(١) حدث هذا بعد معركة البرة التي انتصر فيها الإمام سعود بن فيصل على قوات أخيه الإمام عبدالله بن فيصل، وليس بعد دخول الإمام سعود الرياض في ذلك العام، فقد عاد الإمام سعود وعمه عبدالله بن تركي، وحدث الحصار، وتولى عبدالله بن تركي. انظر : إبراهيم بن صالح بن عيسى. عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر. الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ ، ص ص ٨٢ - ٨٣ . (الدارة) .

(٢) حدث ذلك في عام ١٢٨٩ هـ انظر : إبراهيم بن عيسى. عقد الدرر. ص ٨٦ . (الدارة) .

إلى بلدة (الجبيلة) ونهبوها ، وقطعوا نخيلها وخربوا دورها ، وتركوها خالية من السكان ، كما تشاهد اليوم » . انتهى .

وبعد هزيمة الإمام عبد الله في وقعة (الجزعة) في أول عام ١٢٩٠ هـ استولى سعود على الرياض للمرة الثانية ، وبايعه أهلها على السمع والطاعة ، حتى توفي رحمه الله ، في ٨ ذي الحجة سنة ١٢٩١ هـ^(١) ، فقام بالأمر أخوه الإمام عبد الرحمن الفيصل . حتى حصلت النفرة بينه وبين أبناء أخيه سعود فخرج من الرياض في أول سنة ١٢٩٣ هـ ، وقدم على أخيه الإمام عبد الله ، وكان إذ ذاك مع بادية عتيبة ، فأقبل غازياً الرياض ، فخرج منها أبناء سعود ودخلها الإمام عبد الله بن فيصل ، إلا أن المقام لم يطل به بسبب الخلاف الذي استشرى بين أفراد الأسرة ، وكان سبباً في استيلاء الأمير محمد بن عبد الله آل رشيد على نجد^(٢) بعد وقعة (أم العصافير) في ٢٨ / ٤ / ١٣٠١ هـ^(٣) .

(١) أورد المؤرخ إبراهيم بن عيسى أن وفاة الإمام سعود كانت في الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٢٩١ هـ. انظر : إبراهيم بن عيسى . عقد الدور . ص ٩٣ . (الدارة) .

(٢) استولى الأمير محمد بن رشيد على بعض مناطق نجد بعد معركة أم العصافير وخاصة في الوشم وسدير . ولم يستول ابن رشيد على كامل نجد إلا في عام ١٣٠٥ هـ عندما قام أبناء الإمام سعود بن فيصل بالقبض على عمهم الإمام عبد الله بن فيصل والسيطرة على مقاليد الحكم في الرياض ، مما دفع الأمير محمد بن رشيد إلى أن يتجه إلى الرياض ويسيطر عليها ويعين سالم بن سبهان أسيراً عليها . انظر : إبراهيم بن عيسى . عقد الدور . ص ١١٢ . (الدارة) .

(٣) أورد المؤرخ إبراهيم بن عيسى أن وقعة أم العصافير كانت في شهر ربيع الأول سنة ١٣٠١ هـ . انظر : إبراهيم بن عيسى . عقد الدور . ص ١٠٨ . (الدارة) .

الأمير ابن رشيد يستولي على الرياض

ويجعل القاعدة مدينة (حائل)

تقلص نفوذ الإمام عبدالله الفيصل حتى انحصر في (الرياض)
و(الوشم) و (سدير) حتى كانت سنة ١٣٠٢ هـ^(١) حينما ثار أبناء
سعود عليه ، واستولوا على الرياض ، فسارع محمد بن رشيد إلى
نجدته ، وحاصر الرياض حصاراً شديداً عشرين يوماً ، حتى وقع
الصلح على خروج أبناء سعود إلى الخرج ، وخروج الإمام عبدالله من
السجن، وتولية الأمير محمد بن فيصل إمارة الرياض^(٢) ، وإبقاء
حامية فيها بقيادة سالم بن سبهان الذي عزله ابن رشيد بعد قتله أبناء
سعود في سنة ١٣٠٥ هـ^(٣) ، وولى مكانه فهاد بن عويد بن رخيص
الشمري (رخيص بفتح الراء وكسر الخاء) . ثم بعد وفاة الإمام
عبدالله الفيصل سنة ١٣٠٦ هـ^(٤)، تولى الإمام عبدالرحمن الفيصل
الحكم، وبايعه سكان (العارض) و (المحمل) و (الشعيب) وبلدان

(١) اعتمد الشيخ حمد هنا على كتاب الأمير سعود بن هذلول : تاريخ ملوك آل سعود الذي
أورد هذا التاريخ خطأ، والصحيح هو أن ذلك كان في آخر المحرم سنة ١٣٠٥ هـ. انظر :
إبراهيم بن عيسى . عقد الدرر . ص ١١٢ . (الدارة) .

(٢) تولى الأمير محمد بن فيصل إمارة الرياض في سنة ١٣٠٨ هـ عندما غادرها الإمام
عبدالرحمن. وفي سنة ١٣٠٩ هـ عينه الأمير محمد بن رشيد أميراً عليها عندما هدم سورها
وبعض قصورها. انظر : إبراهيم بن عيسى . عقد الدرر . ص ١١٤ - ١١٥ . (الدارة) .

(٣) قتل سالم بن سبهان ثلاثة من أبناء الإمام سعود الأربعة ، وهم : محمد وسعد وعبدالله، أما
عبدالعزیز فرحل إلى حائل قبل ذلك بأيام وأقام عند أميرها . انظر : إبراهيم بن عيسى . عقد
الدرر . ص ١١٢ . (الدارة) .

(٤) أورد إبراهيم بن عيسى أن وفاة الإمام عبدالله بن فيصل كانت في يوم الثلاثاء ٨ ربيع الآخر
١٣٠٧ هـ. انظر : إبراهيم بن عيسى . عقد الدرر . ص ١١٣ . (الدارة) .

الجنوب ، وسحب ابن رشيد حاميته من مدينة الرياض إلا أنه لم يمض على ذلك عام حتى أعاد ابن رشيد سالم بن سبهان إلى الرياض مرة ثانية ، فخشي الإمام عبدالرحمن من أن يفتك به وبأقاربه كما فعل بأبناء سعود في سنة ١٣٠٥ هـ ، فلما كان يوم عيد الأضحى من عام ١٣٠٦ هـ^(١) ألقى الإمام عبدالرحمن عليه القبض هو ومن معه ، فغزا ابن رشيد الرياض ، وحاصرها أربعين يوماً ، وقطع نخيلها ، ودمر بساتينها وشدّد عليها الحصار ، حتى تم الصلح بينه وبين الإمام عبدالرحمن ، على إخلاء سبيل الأسرى الذين لديه ، وأن يفرج ابن رشيد عن الأسرى الموجودين في حائل من آل سعود ، وأن تكون إمارة العارض والمحمل وسدير والوشم وبلدان الجنوب تابعة للإمام عبدالرحمن ، وأن ينقل ابن رشيد حاميته من الرياض ، غير أن ابن رشيد عندما علم بخروج الإمام منها لنجدة أهل القصيم قبل وقعة (الملّداء) سنة ١٣٠٨ هـ أرسل إلى الرياض حامية بعد حدوث الواقعة وانتصاره فيها بقيادة فهاد بن عيادة بن رخيص ، وجعل إمرة الرياض لمحمد بن فيصل . وعندما هم الإمام عبد الرحمن باسترجاع الرياض فاجأه الأمير ابن رشيد بغزوها ، وذلك في شهر صفر سنة ١٣٠٩ هـ فاحتل المدينة ، وأمر بهدم أسوارها وقصرها القديم والجديد ، وأقام فيها أميراً محمد بن فيصل حتى توفي سنة ١٣١١ هـ .

وقد أصبحت الرياض في العهد الرشيدي تابعة لإمارة حائل عشر سنوات وذلك من عام ١٣٠٩ هـ إلى ٣ شوال سنة ١٣١٩ هـ^(٢) ، وليس لها من شأن يستحق الذكر .

(١) الصحيح أن الإمام عبدالرحمن ألقى القبض على ابن سبهان في اليوم الحادي عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٧ هـ . انظر : إبراهيم بن عيسى . عقد الدرر . ص ١١٣ . (الدارة) .

(٢) الصحيح هو إلى يوم ٤ شوال ١٣١٩ هـ . (الدارة) .

الرياض تستعيد مجدها

في عهد الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل

حاول الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل - عندما قام لاسترجاع ملك آبائه وأجداده - الاستيلاء على الرياض في سنة ١٣١٨هـ ، فسار بثلة من الجنود حتى هجم على المدينة فاستسلمت له ، إلا أن حاميتها الرشيدية بقيادة عبدالرحمن بن ضبعان استعصت عليه داخل القصر ، فحاصرها أربعين يوماً ، وفي أثناء الحصار علم الإمام عبدالعزيز بانتصار خصمه ابن رشيد على حليفه مبارك بن صباح في وقعة (الصَّريف) ففك الحصار عن قصر الرياض ، وقفل راجعاً إلى الكويت .

بعد وقعة (الصَّريف) وتسمى أيضاً وقعة (الطُّرفية) لوقوعها بقرب هذين الموضعين وكانت في ١٧ / ١١ / ١٣١٧هـ^(١) نقل عبدالعزيز بن متعب بن رشيد أميره في الرياض عبدالرحمن بن ضبعان إلى بريدة ، وولى مكانه عجلان بن محمد ، وبعث سالم بن سبهان إلى الرياض . ويقول الأمير سعود بن هذلول في (تاريخ آل سعود) : « إن ابن سبهان سام أهل الرياض سوء العذاب بمصادرة الأموال ، والتنكيل بالرجال » .

والحق أن مدينة الرياض منذ منتصف القرن الثاني عشر ظلت مسرحاً للفتن والاضطرابات ، فقاسى سكانها من ذلك ما لم يقاسه سكان مدينة

(١) الصحيح هو سنة ١٣١٨ هـ . انظر : إبراهيم بن عيسى . عقد الدرر . ص ١١٧ . (الدارة) .

أخرى ، حتى استولى عليها الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن في اليوم الخامس من شهر شوال سنة ١٣١٩ هـ ، وقتل أميرها من قبل ابن رشيد عجلان بن محمد ، فدخلت هذه المدينة منذ ذلك الحين في طور جديد ، فأصبحت قاعدة للملك ، وبدأت في الاتساع ، وقويت فيها حركة العمران ، ودخلتها وسائل الحضارة الحديثة ، وكثرت فيها القصور المشيدة المجهزة بالآلات الكهربائية ، وزاد سكانها ، فأعيد تخطيطها حتى أصبحت تشمل مساحة واسعة من الأرض .

تغير طراز العمران في الرياض

وتغير طراز العمران فيها تبعاً لتطور وسائل الحضارة ، فقد كانت هذه المدينة إلى ما قبل عشرين عاماً (سنة ١٣٦٠ هـ) لا يستعمل فيها للبناء غير الطين واللبن وتستعمل الحجارة نادراً . وكانت طريقة البناء لا تسير على نظام معين أو طريقة مرسومة ، ولهذا كثرت فيها الشوارع الضيقة ، والأزقة المتعرجة التي قد لا تتسع إلا لسير الأقدام ، مع تسقيفها ، والحيلولة دون انتشار النور ، أو نفوذ أشعة الشمس ، مما جعل كثيراً من بيوتها لا يتلاءم مع قواعد الصحة .

وكان البيت فيها عبارة عن بناء يتكون غالباً من بضع حُجَر ، من دورين (طابقين) أحدهما أرضي ، وأبرز ما يحتوي عليه مكان استقبال الضيوف ، وهو أوسع مكان فيه ، ويسمى إن كان في الدور الأرضي (ديوانية) ، وإن كان في الدور الثاني يسمى (رَوْشَنًا) ، وتقل النوافذ ، بل تنعدم في كثير من البيوت إلا من نافذة واحدة ذات ثقب ضيقة تتسع للعين وحدها تسمى (طارمة) ، وتكون فوق مدخل البيت ليشاهد الطارق منها قبل السماح له بالدخول ، ويحوي البيت حوشاً للبقرة التي قل أن يخلو منها بيت ، وحجراً تزيد وتنقص بحسب حالة صاحب البيت الاجتماعية .

ومادة البناء الأساسية الطين واللبن ، ويخلط الطين بالتبن لكي يتماسك من الذوبان عند نزول الأمطار . وتتخذ الأبواب من خشب الأثل ، أو من جذوع النخل من صناعة محلية ، وقد تلبس أبواب

الحصون والقصور بالحديد ، وتبنى أسسها من الحجارة ، وهذا نادر جداً. وتغلب البساطة في جميع مظاهر العمران غير أن المكان المهيأ لاستقبال الزوار والضيوف يطلّ داخله بالجُصّ المنقوش بأشكال دوائر، أو مربعات ، أو مثلثات . وينقش سقف المكان بالأصْبَاح اللامعة، بالسواد أو بالحمرة أو بهما معاً ، وقل أن ترى في هذه المدينة قبل عام ١٣٦٠هـ بيتاً خرج عن هذا النظام^(١) .

(١) يجد القارئ - في آخر الكتاب - مجموعة من صور القصور في عصور مختلفة ، تكون لديه فكرة عن تطور العمران ، وطرز البناء القديم .

اتساع المدينة وإزالة سُورها

كانت مدينة الرياض محاطة بسور مبني من الطين واللبن ، أقامه الملك عبد العزيز بعد استيلائه عليها في شهري شوال وذو القعدة سنة ١٣١٨هـ^(١) . واستغرقت مدة بنائه أربعين يوماً ، وفيه أبواب المدينة في جوانبها وجهاتها :

فمن الشرق (باب الثُميري) نسبة إلى رجل من أهل حريملاء ، قتل عند هذا الباب في عهد قيام الدولة السعودية في دورها الأول .
والباب الشمالي يدعى (باب آل سويلم) ، وهو منسوب إلى أسرة معروفة بهذا الاسم من أشهر أسر المدينة وأغرقها لسكنها جوار هذا الباب .
والباب الجنوبي يدعى (باب دُخنة) لمجاورته لبئر تعرف بهذا الاسم كان يستقى منها ماء الشرب .

والباب الغربي يدعى (باب المذبح) لكون الجزارين والقصابين يذبحون الإبل والبقر والغنم خارجه ، ثم ينقلون الذبائح إلى داخل البلدة .
والباب الجنوبي الغربي يدعى (باب الشُّميسي) لاتصاله بمحلة من المحلات خارج المدينة ، تدعى بهذا الاسم^(٢) .

(١) الصحيح هو سنة ١٣١٩ هـ وربما كان ذلك خطأ مطبعياً. (الدارة) .

(٢) ذكر فيليب في خريطته لمدينة الرياض القديمة التي نشرتها الجمعية الجغرافية الملكية بلندن سنة ١٩١٩ م «أن هناك بوابات ودراويز ومداخل أخرى بسور الرياض مثل دروازة «المريقب» في الجنوب الغربي، وباب «الشمسية»، وبوابة «القرى» بجوار «باب الثميري»، وبوابة «الظهيرة» بجوار باب «آل سويلم». وأشار عبدالرحمن الرويشد إلى وجود «دروازة مصدة» بجوار بوابة «المريقب». انظر : عبدالرحمن بن سليمان الرويشد. قصر الحكم في الرياض : أصالة الماضي وروعة الحاضر. (الرياض ١٤١٢) . ص ٢٠٩ .

ودروازة «عرعر» بجانب دروازة «دخنة» . انظر : وليم فيسي. الرياض : المدينة القديمة. تعريب عبدالعزيز الهلابي. (الرياض : مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤١٩هـ). ص ٤٢٩ . (الدارة) .

ويسمي أهل هذه البلدة الباب (دروازة) تأثراً باللغة الفارسية لكثرة اتصال هذه المدينة ببلاد فارس للمتاجرة .

وفي منتصف هذا القرن بدأ العمران في الرياض خارج سورها ، بسبب ازدياد السكان ، وتطور الحياة فيها ، فأنشئ قصر المربع في الجهة الشمالية ، ودعي بهذا الاسم لإحاطته بأبراج مربعة الشكل ، وقد بني باللبن والطين ، واتخذة الإمام المغفور له عبد العزيز آل سعود مقراً لسكناه هو وحرمة ، وبقي القصر القديم الذي شيد في عهده مخصصاً لاستقبال الوافدين والضيوف .

واتخذ ممالك الإمام عبد العزيز في الجهة الشرقية من المدينة محلة خاصة بهم عرفت فيما بعد باسم (حلة العبيد) .

وجاورهم من الشمال ومن الشرق أناس جلهم من أهل القصيم ، فصارت محلهم تدعى (حلة القصمان) ، ثم توسع البناء والعمران في كل ناحية من نواحي المدينة ، ولا سيما الجهتان الغربية والشرقية ، ثم الشمالية فيما بعد . إلا أن طراز البناء ، ووضع الشوارع مكث على حالته القديمة ، رغم تأسيس إدارة للبلدية تعنى بنظافة البلدية وتنظيمها وذلك في سنة ١٣٥٢هـ .

وفي عام ١٣٧٠هـ أزيل السور الذي كان محيطاً بالمدينة نظراً لاتساعها وبناء محلات جديدة خارجه .

وفي عام ١٣٧٣هـ أنشئت (أمانة مدينة الرياض) ، وأسندت رئاستها إلى رجل حازم من الأسرة السعودية الكريمة هو الأمير فهد الفيصل ، فقامت في المدينة حركة عمرانية عظيمة ، شملت جميع

المرافق العامة ، وخططت مدينة الرياض تخطيطاً جديداً بشق الشوارع الواسعة، وإقامة الميادين الفسيحة ، وتجميل المدينة بالحدائق ، وتشجير شوارعها وميادينها ، وجرّ المياه العذبة وإدخالها في بيوتها^(١) .

(١) ثم في سنة ١٣٨٤هـ عيّن (مجلس بلدي) يشرف على تنظيم المدينة وإصلاحاتها ، مع (أمانة مدينة الرياض) التي أسندت رئاستها في منتصف عام ١٣٨٦هـ إلى شاب مثقف من الأسرة السعودية الكريمة ، هو الأستاذ عبد العزيز آل ثنيان .

دُخُولُ وَسَائِلِ الْحَضَارَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ

ومنذ هذا العهد دخلت المدينة في طور جديد من أطوار العمران ، حتى أصبحت تضارع كبريات المدن في كثير من مظاهر الحضارة ، فوسعت شوارعها ، وأنيرت بالكهرباء ، وتعهدت بالتنظيف والتنسيق ، وانتشرت في المدينة المقاهي ، وأنشئت فيها الفنادق ، وازدهرت حركة العمران فيها ، وخاصة بعد انتقال وزارات الدولة ودوائرها الرسمية منذ عشر سنوات إليها .

الماء في الرياض :

كانت مدينة الرياض إلى عام ١٣٧١هـ تعول في ماء الشرب على الآبار الواقعة داخل البلدة ، ولم تكن المياه فيها متوفرة وكافية كل وقت ، فقامت الحكومة في عام ١٣٧١هـ بجر المياه من مكان غرب البلدة في الوادي المعروف قديماً بـ (العرض) وحديثاً باسم (الباطن) ، ومن مكان آخر يدعى (السويدي) يبعد عن المدينة خمسة أكيال ، غير أن كمية ذلك الماء أصبحت غير كافية لما تتطلبه حاجة هذه المدينة التي أصبحت تتوسع ، وتزداد بشكل مدهش . فجرى مد الماء من مكان يقع جنوب الوادي ويدعى (الحائر) ، ومن مسافة تقارب الـ ٢٠ كيلاً . ثم حفر آبار متعددة في نواحي المدينة بأعماق منخفضة جداً ، وركبت فوقها مضخمات ، وأصبحت هذه الآبار روافد للمياه التي تصل من الوادي من غربه وجنوبه .

الكهرباء :

وقد أنشأت الحكومة منذ بضع عشرة سنة محطة لتوليد الكهرباء في محلة (الشُّميسي) لإنارة المباني والقصور الحكومية ، كما أنارت قسماً كبيراً من منازل الأهالي ، من الأمراء والموظفين وغيرهم .
ونظراً لعدم كفايتها ، فقد تم تأسيس شركة مساهمة تتولى مشروع إنشاء محطة كهربائية ، تفي بحاجة المدينة ، وفعلاً تمت إنارة المدينة ، وتزويدها بالكهرباء من قبل (شركة الكهرباء الوطنية) في سنة ١٣٧٤هـ .

الصحة :

في عام ١٣٤٧هـ أنشئ أول مستشفى في هذه المدينة ، في محلة (القري) بفتح القاف وكسر الراء بعدها ياء ، وبعد فترة طويلة من الزمن أنشئت مستشفيات أخرى منها (المستشفى العسكري) ، و (مستشفى الشُميسي) ، و (مستشفى الملك عبد العزيز) ، و (المستشفى المركزي) .

وسائل العلم والثقافة

التعليم :

كانت مدينة الرياض موئل القاصدين من مختلف البلدان لتلقي العقيدة السلفية على علمائها ، ورثة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، منذ أن أصبحت قاعدة للحكم ، من عهد الإمام فيصل إلى عهدنا الحاضر ، وكان ملوكها يغدقون على طلبة العلم كثيراً من الفضل ، فيقررون لهم من المرتبات الشهرية ما يقوم بحاجتهم ، فكان طلاب العلم يأتون من جميع أنحاء المملكة للدراسة والتحصيل ، ثم يعودون إلى بلادهم بعد الارتواء من مناهل العلم الديني على يد علمائها ، حتى قل أن تجد في بلاد نجد عالماً أو قاضياً لم يتلق علومه في الرياض على آل الشيخ وغيرهم من العلماء .

وكان في المدينة عدد من الكتاتيب لتعليم مبادئ القراءة والكتابة، وتهتم بتحفيظ القرآن قبل كل شيء ولا تعنى بغيره .

المدارس الحديثة :

أما المدارس الحديثة فإن عهد هذه المدينة بها يبتدئ من عام ١٣٥٠هـ ، حيث أمر الملك عبد العزيز - رحمه الله - بفتح مدرسة لأبنائه في مكان مجاور لمجلسه في قصر الحكم في (الديرة) تولى إدارتها فضيلة الأستاذ السيد أحمد العربي ، ثم فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله الخياط .

وفي سنة ١٣٦٠هـ أنشأ الأمير منصور ابن الملك عبد العزيز - رحمه الله تعالى - حينما كان أميراً للقصور الملكية أول مدرسة عامة منظمة .

ثم في سنة ١٣٦٨ هـ قامت مديرية المعارف العامة بفتح مدرستين ابتدائيتين ، وما زال عدد المدارس الابتدائية يزداد حتى أوجدت في كل محلة مدرسة .

تنظيم التعليم الديني :

وفي سنة ١٣٧٠ هـ أنشئت أول مدرسة (ثانوية) في الرياض . وبعد افتتاح المدارس الحديثة في البلاد أصبح التعليم الديني بحاجة إلى التنظيم ، فأمر المغفور له الملك عبد العزيز بفتح معهد يعنى بهذه الناحية ، ويكون وسيلة لتطوير هذا النوع من التعليم ، بإشراف الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ . وقد تم فتح ذلك المعهد في سنة ١٣٧١ هـ ، ثم فتحت له فروع أخرى في بعض مدن المملكة ، وألحق به كليتان إحداها (كلية العلوم الشرعية) ، والأخرى (كلية اللغة العربية) .

الجامعة والكلية الحربية :

وفي سنة ١٣٧٤ هـ افتتحت (كلية الملك عبد العزيز الحربية) تابعة لوزارة الدفاع والطيران .

وفي عام ١٣٧٧ هـ افتتحت أول جامعة في المملكة ، في مدينة الرياض . ثم انتشرت المدارس ومعاهد العلم في هذه المدينة .

المكتبات :

أما المكتبات فإن العادة التي سار عليها حكام نجد أن العالم إذا توفي أحضرت كتبه إلى الرياض ليطلع عليها العلماء ، ولأن طلبه العلم الذين يدركون قيمة الكتب أكثرهم في هذه المدينة ، ولهذا اجتمع لدى العلماء عدد كبير من الكتب ، فأصبح لدى الشيخ عبد الله بن

عبد اللطيف آل الشيخ مكتبة غنية بنوادر المخطوطات ، ومثلها مكتبة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ ، إلا أنها أضخم منها وأكثر عدداً ، ومكتبة الشيخ حمد بن فارس ، ومكتبة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وغيرهم من العلماء .

ولكن عهد الرياض بالمكتبات العامة بدأ في سنة ١٣٦٣هـ حيث أنشأ الأمير مساعد بن عبد الرحمن الفيصل أول مكتبة عامة في هذه المدينة ، جمع لها مجموعة طيبة من الكتب ، وخصص لها جانباً في بيته ، وعين فيها موظفاً ، وأباح لكل زائر الانتفاع بها في المطالعة .

وفي سنة ١٣٧٣هـ افتتحت المكتبة السعودية تحت إشراف كبير العلماء ومفتي البلاد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، مجاورة لمسجد فضيلته .

ثم توالى فتح المكتبات ، ففتحت (أمانة مدينة الرياض) مكتبة عامة ألحقت فيما بعد بوزارة المعارف ، وفتحت الوزارة نفسها مكتبة عامة أخرى ، وفتحت جامعة الرياض (الملك سعود حالياً) مكتبة تابعة لها .

الطباعة والصحافة :

يبتدئ تاريخ الطباعة في مدينة الرياض عام ١٣٧٤هـ ، فقد قام جماعة من أهل البلاد بتأسيس شركة دعوها (شركة الطباعة والنشر الوطنية) ، قامت بإنشاء مطابع أطلق عليها اسم (مطابع الرياض) ، وبدأ استعمال هذه المطابع في ٢٦ / ٨ / ١٣٧٤هـ ، ثم استمر إنشاء المطابع بعد ذلك التاريخ .

أما أول صحيفة أنشئت في مدينة (الرياض) فهي مجلة (اليمامة) التي صدر عددها الأول في شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٢هـ مطبوعاً في

مصر، ثم صارت تطبع في مكة ، ثم في لبنان . وفي عام ١٣٧٤ هـ طبعت في مطابع الرياض .

ثم في غرة صفر من عام ١٣٧٥ هـ صدرت بشكل صحيفة أسبوعية في ثماني صفحات ، ولا تزال مستمرة في الصدور .

وأصدرت وزارة المعارف مجلة (المعرفة) في رجب ١٣٧٩ هـ ، وقبلها أصدرت (الجامعة) مجلتها باسم (مجلة جامعة الملك سعود) دورية ليس لصدورها زمن محدد .

وفي شهر جمادى الآخرة عام ١٣٧٩ هـ صدر العدد الأول من جريدة (القصيم) .

ثم صدرت مجلة (الجزيرة) في مطلع شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٩ هـ ، وأصبحت جريدة في عام ١٣٨٣ هـ ، فصدر عددها الأول في ٢٠ / ٢ / ١٣٨٤ هـ واستمر صدورها حتى الآن .

وفي آخر عام ١٣٧٩ هـ صدرت مجلة (راية الإسلام) ، ثم احتجبت هي ومجلة (المعرفة) وجريدة (القصيم) .

وفي غرة المحرم سنة ١٣٨٥ هـ صدرت جريدة يومية تدعى (الرياض) في مدينة الرياض ، وجريدة أسبوعية باسم (الدعوة) صدرت أيضاً في مطلع هذا العام (١٣٨٥ هـ) .

وفي شهر رجب سنة ١٣٨٦ هـ صدر العدد الأول من مجلة (العرب) ، وهي مجلة شهرية تعنى بتاريخ العرب ، وجغرافية بلادهم ، وبتراثهم الفكري بصورة عامة .

نهاية البحث

تلك لمحات موجزة من تاريخ هذه المدينة ، لعلها خلاصة ما يستطيع الباحث في تاريخها الوصول إليه في المصادر التاريخية التي لم تعن العناية الكافية بتاريخ هذه الجزيرة كلها ، منذ أن غربت شمسها بانتقال الخلافة منها حتى أذن الله لها أن ترى النور بقيام الدولة السعودية الكريمة في هذه البلاد ، واتخاذ هذه المدينة قاعدة للحكم ، فعاد إليها الخير واليمن^(١) .

(١) إن المطلع اليوم على ما وصلت إليه مدينة الرياض من تقدم في مجال العمران والتنمية والتعليم والخدمات الأساسية مثلها مثل المدن الأخرى في أنحاء المملكة يجد أن ما أشار إليه الشيخ حمد الجاسر يعد توثيقاً لذلك الماضي القريب الذي عاشته مدينة الرياض إلى أن أصبحت اليوم مدينة كبرى تضاهي كبريات المدن في العالم برعاية كبيرة من أميرها صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز. (الدارة) .

ملحق للكتاب عن :

الآثار الحميرية في بلاد نجد

تقدمت الإشارة إلى أن الملك الحميريَّ حسان أبا كَرَب غزا اليمامة، وأخضع قبيلة جَدِيس ، على ما ذكره المؤرخون من العرب ، وعلى ما جاء في الشعر العربي القديم .

ويحسن أن نورد هنا بحثًا عن العشور على كتابات حميرية في قلب نجد في وادي ماسل ، تؤيد ما ذكره المؤرخون المتقدمون من امتداد نفوذ ملوك حمير ، وخاصة أبي كَرَب إلى نجد ، وتشيد قلعة في تلك الجهة أثناء الحكم الحميري .

١ - في (مأسل الجمح) في عالية نجد^(١)

إن لمحة نلقها على الخريطة ذات المقياس المليون (شمالي ٣٨ ج)
 ترينا فراغاً طوبوغرافياً تاماً في الفسحة المتكونة فيما بين سكة
 السيارات الحالية من مكة إلى الرياض ، وخط اتجاه سير في الرحلة
 التي قمت بها من الرياض إلى الطائف ، وعلى وجه التخصيص داخل
 مساحة شبه معينة الشكل (متوازي الأضلاع) ، وضمن خط ممتد من
 (الدَّوَادِمِي) مَآرَاب (الْخُفَيْفِيَّة) و (مَرَاة) على سكة السيارات ، ويتجه
 جنوباً عبر الريف من هذه الأخيرة إلى (دَلْقَان) و (الْقَوَيْعِيَّة) ، ومنها
 لجهة الشمال الغربي رجوعاً إلى (الدَّوَادِمِي) .

لقد انتهزت الفرصة فسافرت ماراً بهذه المساحة من الأرض ،
 وتفحصت معالمها بدقة وتفصيل . وكنت أخبرت من قبل الأمير
 عبدالله بن عبد الرحمن عن وجود بعض النقوش السبئية على
 الصخور في موقع يدعى (وَادِي مَاسَل)^(٢) ، وهو على مسافة تتجاوز قليلاً
 الخمسين كيلاً (ك.م.) إلى الجهة الجنوبية الشرقية من (الدوادمي) ،
 وبعد مضي وقت قليل أعطاني نماذج من كلمات استنسخت من هذه
 النقوش من قبل شخص عربي أرسله الأمير خصيصاً لهذا الغرض .

(١) خلاصة ترجمة مقال للشيخ عبد الله فيليبي ، نشره بعنوان :

“Motor Tracks and Sabaeen inscriptions in Najd” The Geographical Journal,
 Vol. CXVI, Nos 4-6 Dec. 1950 - PP. 211 - 215 .

(٢) ماسل ، ويهزم : مأسل ، ويضاف إلى الجمح ، فيقال : ماسل الجمح ، معروف قديماً ، ورد
 في شعر امرئ القيس ، في معلقته :

كَدَابِكْ مَنْ (أُمُّ الْحَوَيْرِثِ) قَبْلَهَا

وجارتها (أُمُّ الرَّبَابِ) بِ (مَاسَلِ)

إن الكلمات والأحرف القليلة التي استنسخها هذا العربي كانت غير كافية لإعطائي فكرة ما عن أهمية هذه الوثائق . وفي شهر يناير من عام ١٩٥٠م قام الشيخ فؤاد حمزة ، وهو وزير دولة في الحكومة العربية السعودية ، وكان يهتم ويعنى بالدراسات السبئية بزيارة للموقع المذكور ، وتمكن من فحص تلك النقوش عن كثب في محلها ، كما أخذ نسخاً ، ولو أنها غير مضبوطة تماماً من أجزاء لتلك النقوش ، ولكنها كافية للدلالة على عظم أهميتها سواء من الوجهة التاريخية أو من جهة المخطوطات والنقوش الأثرية . وحتى ذلك الوقت لم توجد أية نقوش ومخطوطات سبئية في محيط نجد ، بينما المجموعة الوحيدة الأخرى من تلك المستندات المعروفة لدينا المتعلقة بداخل بلاد العرب أتت من (قرية الفاو)^(١) جنوبي (وادي الدواسر) ، حيث اكتشفت من قبل بعض علماء طبقات الأرض الذين يعملون في شركة الزيت العربية الأميركية بالاشتراك معي أنا في عام ١٩٤٨م . إن (قرية الفاو) كانت على ما يظهر مركزاً أمامياً منعزلاً للمدينة السبئية إلى شاطئ الخليج الشرقي حيث وجد أيضاً عدد كثير من النقوش والمخطوطات السبئية .

ولكن لم يكن هنالك بين النقوش والمخطوطات واحدة ساعدت على كشف مادة تاريخية ذات مغزى ، ولكنه كان واضحاً من النسخ الجزئية الجانبية التي أرسلها لي الشيخ فؤاد حمزة أن بعض ملوك سبأ الذين وجدوا في مستهل القرن الخامس (ب.م) والذين كانوا معروفين

(١) انظر وصفها في ص ١٠٦ ، وما بعدها .

لدينا من النقوش التي وجدت في اليمن ، تغلغلوا في وسط بلاد العرب حتى إقليم (الدوادمي) . وأصبح من الضروري الحصول على نسخ تامة ومضبوطة حقيقية من تلك المستندات الهامة .

وفي شهر أيار من هذه السنة قطعت رحلتي بالسيارة إلى الرياض وتوقفت في (الدوادمي) لأزور (وادي ماسل) . لقد كان عبور الريف بين هاتين النقطتين صعباً جداً ، لأن عدة وديان كانت تعترض السهل منحدرة من الريف الأكمي الكثير التلال إلى غربي (الدوادمي) التي تمتد وتنساب جنوباً إلى وراء (القويعية) في مرتفعات (العرض)^(١) . والبئر الوحيدة التي عثرنا عليها في الطريق كانت بئر (رغوة) على بعد ١٢ كيلاً من (الدوادمي) ، بينما كانت وجهتنا العامة إلى الجنوب الشرقي عبر بقعة من المراعي الخصبة الجيدة ، التي كانت أحيتها وأنضرتها أمطار الشتاء الماضي السخية ، وكانت آنئذ مليئة بالإبل التي كانت ترعى فيها . وإذا أخرجنا من حسابنا المدة التي قضيناها في التأملات الجغرافية (كاستعمال البوصلة وغيرها من الآلات) نكون قد أمضينا ثلاث ساعات جدية متواصلة في السيارة ، لنصل إلى وادي (ماسل) ، وإلى الكهف الكائن بجانبه .

أما النقوش فكانت على حرف صخرة من الحجر الناري الأسود ، وعلى الضفة اليمنى من الكهف ، بينما يقع مسقى ، أو غيل المسيل الدائم على نحو كيل (ك.م) من الوادي الضيق ، المحاط بالحجارة

(١) يعرف قديماً باسم (عرض شمام) نسبة لجبل يعرف الآن باسم (أذني شمال) ، وقديماً يعرف بـ (ابني شمام) لأن له رأسين .

والصخور. بينما هناك قرية على مسافة جزئية منه ، لم أتمكن من زيارتها لضيق الوقت تدعى (عَرَوَى ابن حميد)^(١) جنوبي مدخل وفم الوادي تقريباً . يقع وادي ماسل في منطقة عشائر (عُنَيَّة) .

والكهف مستقر على صورة ووضع يسمح للشمس خلال فصل الصيف أن تتخلله ، وتشع فيه بعد الظهيرة ، ولذلك فإنه ليس بالإمكان أن يدخله أحد ، أو أن يستريح فيه ، إلا خلال ساعات الصباح ، مع أنه يبقى في الظل كل النهار تقريباً أثناء فصل الشتاء .

إن النقشين أي المخطوطين الرئيسين (الأول مؤلف من عشرة أسطر والثاني من تسعة أسطر) منقوشان على وجه الحجر الناري الحشن، المواجه تماماً للجهة الشمالية من الكهف . ومن الواضح أن تساقط المياه وتقلبات الطقس التي أوجبت تشقق وتشظي الصخرة قد أحدث عطلاً وأذى في المخطوطات المسجلة ، ولكن بقي مع ذلك قسم منها كاف لإعطاء فكرة جيدة عن محتوياتها . وفي كلا المخطوطين كانت الكتابة متلاصقة مزدحمة ضمن الحيز والفسحات الموجودة . والكتابة الأكثر طولاً كانت على الطرف الشمالي من وجه الصخرة ، ويمكن الوصول إليها بسهولة ، بواسطة رف أو إفريز مناسب موضوع على مسافة أقدام قليلة تحت الصخرة . أما الأخرى فإنها بالعكس كانت إلى يمين وإلى أعلى الأولى تماماً ، وهي لذلك صعبة المنال ، لوقوعها على بطن الصخرة الجاحظ والبارز الناتئ . ويظهر أن الذي خط هذه الأسطر استعمل سلماً من الأسفل ، أو

(١) عَرَوَى : هو اسمها القديم ، ومنذ نصف قرن تقريباً اتخذها جهجاه بن حميد من شيوخ قبيلة (عُنَيَّة) هجرة له ، فنسبت إليه ، وهي لا تعرف الآن إلا باسم (عروى) غير مضافة .

دلتى هو نفسه من الأعلى ، فيما يشبه مهّداً أو (صقالة المعمار) . وبما أنه لم يكن لدي سلّم ، كان عليّ أن أستعين بالمنظار لكي أقرأ وأنسخ المخطوطة . وهو عمل شاق جداً ، يستوجب دراسة حرفين أو ثلاثة فقط في المرة الواحد ، وتسجيلها بعدئذ على الورقة . وقد أمضيت ثلاث ساعات تقريباً لنقل هذه النقوش ، بينما كانت الأخرى سهلة الاستنساخ نسبياً .

وبالإضافة إلى هذين المخطوطتين المهمين هنالك عدة نقوش أقل أهمية بالقرب من أسفل وجه الصخرة ، وعلى كتل حجرية سائبة ومتدلية من الأعلى ، وعلى عدد من الحجارة المصفوفة على رف عريض في أعلى صخرة الكهف ، وفي قاعدة صخرة كبيرة ترتفع بضع مئات من الأقدام ، بحيث تقع في القمة التي ترتفع ثمانمائة قدم تقريباً عن مستوى الوادي .

وقد أرسلت نسخاً من هذه المخطوطات إلى (البروفسور ج. ريكمانز أحد أساتذة جامعة لوفان) لدراستها دراسة دقيقة ولنشرها بعدئذ . على أنه من الممكن أن نقول بضع كلمات في الوقت ذاته ، واصفين محتويات تلك النقوش وصفتها العامة .

ففي المخطوطة الأولى (فيلبي ١٢٧) آب - (كرب أسعد) (أسعد الكامل من التبابعة الوارد ذكرهم عند مؤرخي العرب) وولده (حسن يوهامين) (حسن التبعي الذي ذكره المؤرخون العرب) كانا ممثلين وموصفين بأنهما شيذا قلعة (من أجل أو على شرف) أو لتمجيد والد الملك المذكور الاسم أو (مالك - كرب) الذي يحتمل أن يكون توفي في ذلك الوقت بعد حكم دام خلال الربع الأخير من

القرن الرابع (ب.م) ، ولذلك فإنه بالإمكان أن نرجع بالتاريخ إلى وقت ما بين ٤٠٠ (ب.م) و ٤١٥ (ب.م) يظهر (حسن يوهامين) هنا للمرة الأولى بما يتعلق بالمخطوطات السبئية كملك لـ (سبأ) يتمتع باللقب الكامل الذي تمتع به أبوه وجده من قبل ، وهو ملك سبأ ، وذوريدان ، وحضرموت ، ويمينات ، وعربهم ، وطود ، وتهامة . وقد اختصر هذا اللقب في هذه المخطوطة بما يتعلق بـ (آب - كرب) وولده ، وذلك بحذف كلمة «هم» (الضمير المتصل) ، وأما بما يتعلق بـ (مالك - كرب) فقد حذفت كل الكلمات الإضافية بعد (يمينات) . وقد وصفت القلعة في السطر الخامس على أنها بنيت في (ماسل الجمح) وهو الاسم الكامل الذي لا يزال يطلق على الموقع ، إذن (الجمح) هو اسم سلسلة الجبال التي يجري الوادي خلالها ، بينما هناك إشارة في هذا السطر والذي يليه إلى (إقليم مودام) أو (مودام) . وهذا يمكن أن يكون اسم الدوامي الأصلي الذي - وفقاً لتقليد محلي - كان يدعى من حيث الأصل ويلفظ (دَاء - وِرد) ، وذلك يعني (بئر المرض) ، ذلك أن مستوطنيه الأولين الذين احتلوا الوادي ماتوا على أثر حمى محلية أصابتهم ، ثم حور الاسم إلى (دوا - آدمي) أي رغبة إنسان^(١) .

(١) تسمية الدوامي باسم (دَاء وِرد) مشهورة ، والظاهر أنها ناشئة من خرافة ذكرها صاحب معجم البلدان (مادة : واسط) في واسط البلدة المعروفة في العراق ، ونظراً لأن اسم (واسط) يطلق على قرية من قرى (الدوامي) فقد نشأ خطأ الاعتقاد بأنها (واسط) الدوامي ، وأنه كان هو الذي يطلق عليه (داء ورد) أو (داء وردان) ، وهذا من قبيل الوهم والخطأ . ويرى بعض الباحثين أن كلمة (دوامي) عبرية ، نشأت عن كون أكثر من يشتغل في المعادن التي كانت حوله من العبرانيين .

إن الأسطر الأخيرة القليلة من هذه المخطوطة هي من النوع العادي الشكل ، ويشير إلى بضع عشائر ورؤساء عشائر وموظفي وضباط بلاط ، وإلى عائلات ومقتنيات وأملاك الملوك ، إلخ ...

أما النقط ذات الأهمية في المخطوطة الثانية (فيلبي ٣٢٨) فتعود أهميتها إلى أنها مؤرخة بالضبط ، وترجع إلى عام ٦٣١ من الحقبة السبئية (٥١٦ ب.م) ، وأنها سجلت من قبل ملك معروف حتى الآن (بلقب الملك الكامل كما هو مذكور فيما سبق) يدعى (معد يكر ب - يعفر) ، الذي يجب أن يكون الخلف المباشر للملك المدعو (ذو نواس) من ملوك (نجران) الذي انتهى حكمهم سنة ٥٢٥ (ب.م) حين تغلب الأحباش على سبأ . وهناك شخص يحمل الاسم نفسه منقوشاً على مخطوطة لنائب ملك الحبشة (أبرهة) ، في مأرب مؤرخة سنة ٥٤٣ (ب.م) ، ولكنه من غير المحتمل أن يشير الاسمان إلى شخص واحد . ولكن من المحتمل أن يعرف الشخص الثاني حامل الاسم نفسه ، ويشخص بأنه (معد يكر ب بن سميع أشوا) الذي كان عين ملكاً من قبل الأحباش بعد هزيمة (ذي نواس) سنة ٥٣٥ ، بينما يحتمل أن يكون (معد يكر ب - يعفر) الأول هو الشخص ذاته الذي يحمل اسم (معد يكر ب - ينعم) الذي يظهر في قائمتي (المرجع نفسه ص ١٤٣) ، والذي كان يحكم في فترة بين ٥١٠ - ٥٩٠ (ب.م) . وفي هذه الحالة يجب أن يمتد ملكه إلى سنة ٥١٦ على أقل تقدير . إن اللقبين يتشابهان في المخطوطات السبئية ، وهذا

يمكن أن يؤدي إلى نتيجة هي أن (ينعم) قد يكون قرئ خطأ (يعفر)
لا بالعكس لأن القراءة والتسجيل في هذه المخطوطة مؤكدان . وإن
الاحتمال الوحيد يمكن أن يكون على افتراض أن (معد يكر ب - يعفر)
كان اسم (ذي نواس) الحقيقي الذي يظهر بأنه عرف بأسماء مختلفة
عديدة : مسروق ، زرعة ، ويوسف ، مثلاً .

ومهما يكن الأمر فإن القلعة أشير إليها بـ (قلعة تلماهي)
(بتوليمي؟) بينما لدينا في السطرين التاليين ذكر أسماء عشائر (أسد)
و (سبأ) و (حمير) و (رحبان)(*) بما يتعلق بحرب هي أيضاً ذات
علاقة بكندة، وثعلبات ، ومضر .

هذا ما يتعلق بالمخطوطين ، وبالإضافة إلى ذلك هنالك ستة عشر
كلمة أو نقشاً أقل أهمية يمكن أن نذكر منها بصورة خاصة :

- ١ - اسم اب كرب أسعد . (فيلبي ٢٢٩) .
- ٢ - نقش غير مقروء أبداً على سطرين أو ربما كان ثلاثة أسطر
ليس فيها من الأحرف التي يمكن قراءتها سوى اسم (سام - يافع)
المذكور آنفاً . (فيلبي ٢٣٠) .
- ٣ - أسماء (يا ريم ، وهو - سخيم) ، و (يرحب ، وهو - سو)
(خيم)؟ وهي التي تشكل فقرات في (فيلبي ٢٣١ ب) التي جاء فيها
أيضاً أسماء (خولي) و (سعد) .
- ٤ - اسم (الثواب) .

لم أتمكن من العثور على أي أثر للقلعة المشار إليها في المخطوطة

(*) يلحظ أن بعض المواضع لم يتمكن المترجم من معرفتها فوضعنا بجوارها علامة الاستفهام (؟) .

ولا التأكد عن طريق التحقيق والاستفسار من معلومات واضحة عن خرائبها وأطلالها فيما لو كان هنالك بقايا منها حتى اليوم . على أن هنالك موقعاً غير بعيد في مرتفعات (العرض) يدعى (داحس) ، وهو مشهور في المصادر التاريخية^(١) بأنه كان مرتعاً للحروب القبلية قبل الإسلام ، وقد تكون قلعة (وادي ماسل) شيدت من قبل السبئيين كمنطقة أمامية عسكرية لمراقبة النشاط القبلي العشائري وضبطه . و(وادي ماسل) كان على ما يظهر بمثابة النقطة أو المنفذ الرئيس إلى نجد من الجنوب ، لأنه كان مجهزاً بالماء الكافي للحامية ، ودوريات الحراسة ، أما القلعة فقد تكون شيدت في موقف أبعد من ذلك في (عروى) .

والوادي ينفذ ويصب في شبكة من المجاري، وهذه تمد العشائر بمراع غنية خصبة جداً لجمال البدو وماشيتهم التي يمكن أن تسقي من آبار عديدة واقعة على مسافة قريبة من السهل ، وهي آبار (الحشرج) و(العبيسة) و (المنجور) الكائنة في فسحة أقيية (وطاط النوم المختلفة)؟ و (الحُفيرة) وهي قرية كبيرة للإخوان واقعة في أسفل وادي (جهام)؟ وفيها آبار كثيرة وأراض زراعية واسعة، و (حُمَيَّان) ذات الآبار في وادي (العفجة) والبقايا الكثيرة لموطن الإخوان، ومقر شيد من أكواخ حقيرة من الطين لا يتعدى عددها الستة ، وهي خربة كأنها ولدت ميتة ، وأخيراً بئر (بعج ؟) في شعيب (واسط) وهو مجرى أو مصب

(١) داحس المذكور اسم حصان ، وليس اسم موقع كما توهم فيليبي . وخبر داحس والغبراء ، وما وقع بسبب سباقهما من الحرب بين قبيلتي (عبس) و (ذبيان) أشهر من أن يذكر .

قصير من روافد (رغوّة) . وقد عدنا من الدوادمي سالكين هذا الطريق الأكثر سهولة والأطول قليلاً والذي يبلغ السبعين كيلاً وذلك بقصد رؤية وتسجيل مراكز وآبار المياه هذه المارة الذكر .

إلى الشرق من هذه الآبار وعلى بعد قليل في السهل توجد مناهل (مُكَيَّنة) و (الشعبية) و (فويليح) ؟ وقد جاءت على هذا الترتيب من الشمال إلى الجنوب ، وهي تجهز السيارات المارة من هذا الممر الجانبي والقادمة من (الدوادمي) متجهة إلى (دلقان) بالمياه؛ إذ إن هنالك مجموعة مهمة من الآبار إلى الجانب الشرقي من رمال (النفود) . وبين هذه وبين رمال (قنيفيذة) يمتد الطريق من (دلقان) إلى نقطة الشروع في سلوك طريق (الدوادمي) و (مرأة) . والأولى أي (الدوادمي) تتصل بالماء في آبار (الخلائق) على نحو ٣٥ كيلاً إلى الشمال الشرقي من (دلقان) .

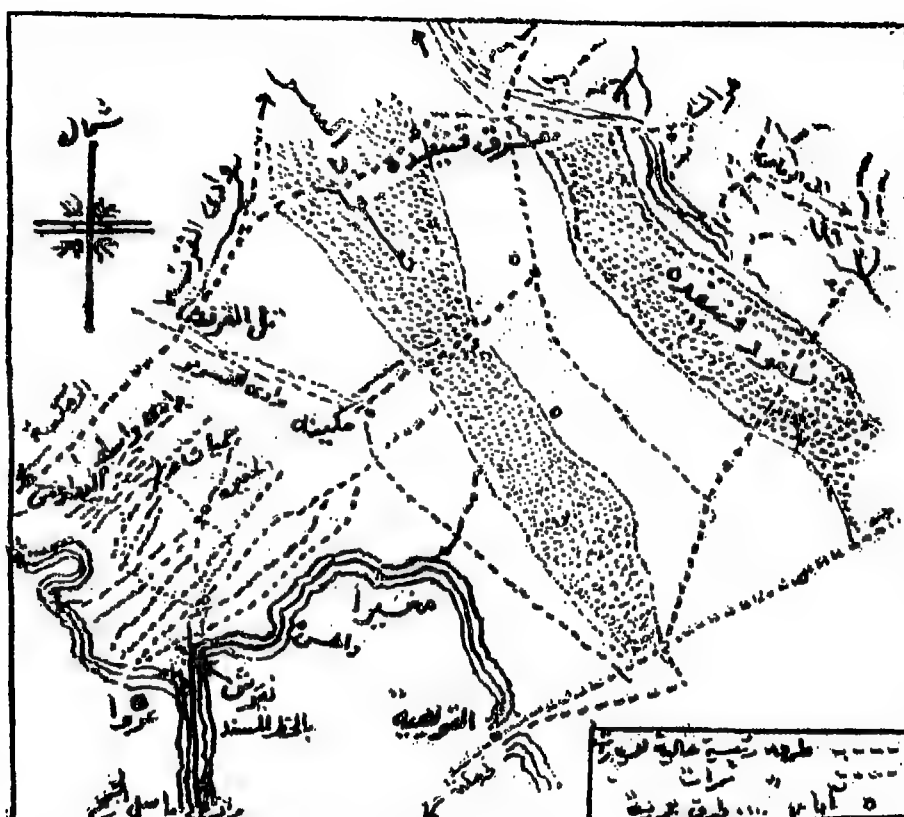
وتقع بئر (الحويط) في اتجاه غربي طريق السيارات الكائن على مسافة ٢٥ كيلاً لجهة الشمال الغربي ، وبينما يقع منهل (سَامُودَة) المهم على بعد المسافة نفسها المذكورة سابقاً . وفي الأمام وفي الاتجاه نفسه ، وهذا الموقع يستعمل الآن مركزاً للإسطبل الملكي . وبالقرب منه تقع بئر (بديعة)، بينما البئر الأخيرة على الطريق هي بئر (غرغر) وتبعد نحو ١٥ كيلاً عن الطرق الحالية . ويقال: إن هنالك ممراً سهلاً إلى (النفود) على الخط أو المستوى العام لمنطلق (سامودة) و (مكيّنة) ، بالإضافة إلى بئر تتوسط الطريق، ولكن لم يكن لدي فرصة تمكنني من الوصول إليها .

إن المصورَّ المرفق الذي لا يمكن أن يعد مضبوطاً بالنظر لفقدان جميع آلات التخطيط والرسم ، باستثناء إبرة البوصلة وعداد سرعة السيارة ، سيرينا الوضع العام للمواقع المختلفة التي ورد ذكرها في هذا المقال . إن خط الرمال (نفود قنييفة) في الشرق يجري على العموم تقريباً إلى حذاء السكة ، ولو أنه ينحرف عنها بالتدريج إلى الجنوب من (الخلايق) ، بينما تمتد الحاشية الشرقية من (نفود السر) إلى مدى ١٥ كيلاً غربي سكة السيارات في (غرغر) ، وتنحرف بالتدريج نحوها حتى التقاء الخطين في (دلقان) ، وبعد مسافة قصيرة يتحول النفود إلى سهل رملي ثابت ، وإلى ساق الطريق الشمالية تنحرف الحافة الغربية من النفود تدريجياً عن السكة حتى تختفي تماماً بالقرب من الشعبية فتغدو على بعد عشرين كيلاً على الأقل . وإلى غربي هذا الساق وعلى مسافة قصيرة نسبياً يمتد حاجز صلب من الجبال تسهل رؤيته على طول الطريق ، وتشتمل على سلسلة هضاب تتضمن (العرض) و (مُغِيرَاء) وسلسلة الجمع وعدة قمم عالية ومشارف شاهقة . وهي بلاد كثيفة موحشة بكل تأكيد ، ولو أنها قد تكون ملائمة لسكانها ولقطعانها وماشيتهم ، وخصوصاً في فصل كهذا غذته الأمطار الغزيرة بعد جفاف نسبي ، طال أمده مدة ست أو سبع سنوات . ويظهر أنهم يعيشون على الطريقة القديمة التقليدية ، دون أن يزعجهم توغل السيارات الصاخبة أو أخبار التطورات العصرية الآخذة مجراها في بلدة كبيرة كالرياض . ولكن هنالك مظهر من الصحراء العربية المعروفة لدى بعضهم قديماً ، وعنصر محب يفتقده المرء كثيراً ، أو الذي

قد تكون معالمه زالت إلى الأبد ، وهو قطعان الغزلان الكثيرة المتعددة التي اعتادت أن تتجول خلال هذه الهضاب أو الرمال غير هيابة ولا وجلة . هذه القطعان التي انقرضت خلال ربع القرن الأخير من جراء ملاحقتها من قبل الصيادين الذين يستعملون السيارات، أو الذين يجبرونها أن تترتاد وأن تدخل أماكن صعبة المنال . والغزال يعد نادر الوجود الآن على سكة السيارات في بلاد العرب . أما النعامة فقد انقرضت أيضاً في الشمال ، كما اختفت منذ أكثر من جيلين في الجنوب ، والمهاة اختفت من الشمال، مع أنه قد يشاهد عدد قليل منها في الربع الخالي أو حوله(*) .

(*) لزيادة الإيضاح عن ملوك سبأ يحسن الرجوع إلى : كتاب (سناد الإسلام) ، تأليف فيليبي واسمه بالإنجليزية :

I - H. St. J. B. Philby, "Background of Islam" Alexandria, 1947, p. 143.



رسم تقريبي يبين مكان الكتابة : (ماسل الجمع) وبعض المواضيع المذكورة في المقال المتقدم .

٢ - في (قرية الفاو) شمال الأفلاج

[يذكر الهمداني في كتاب (صفة جزيرة العرب)^(١) أن في (قرية) كنيسة منحوتة في الصخر ، وأن فيها آثاراً .

وها هو الشيخ عبد الله فيليبي يتحدث عن آثار (قرية) في مقال نشره في (المجلة الجغرافية) المجلد ٦٣ ، في حزيران (يونيو) سنة ١٩٤٩م نقدم إلى القراء خلاصته مُعَرَّباً [:

على بعد نحو خمسين كيلاً إلى جنوب النقطة التي يتداخل ويتقاطع فيها (وادي الدواسر) بحاجز (طُويق) قناة تُدعى (الفاو) تقسم الجزء الجنوبي على ذلك الحاجز نفسه في مكان هو في الواقع الزاوية الغربية الشمالية للربع الخالي التي تختلط رمالها وتلتطم بالمنحدر الغربي لطويق جنوبي هذه النقطة ، وتشترك بأقنية ومصارف (الفاو) ، وتدعى بمسميات محلية مختلفة في الشمال الشرقي ، وتتوحد وتنصب في (وادي الدواسر) في منطقة مجاورة لرمال (الرماك ؟) . ونحو خمسين كيلاً إلى جنوب قناة (الفاو) . وتبعاً للمعلومات المهيأة والمأخوذة من الفرقة الاستكشافية لشركة النفط العربية الأمريكية التي تعمل في هذه المنطقة ، ينشق حاجز (طويق) مرة أخرى بفجوة عريضة مكسوة بالرمال ، أربعين كيلاً تقريباً لا تتمكن السيارات من اجتيازها ، وهي على ما يفترض تمثل الأقنية المشتركة المختلطة في وادي (نجران) ووادي (حبونا) . وبعد مسافة خمسة وسبعين كيلاً ، وحسبما عُرِفَ جَوّاً من فرقة الاستكشاف نفسها يصل الإنسان إلى الطرف الجنوبي

(١) ص ١٥٢ .

من منحدر (طويق) ، وهنالك أي حول هذه النقطة ووراءها تستأثر
الرمال بنفود وتغلب شامل حتى حافتها الجنوبية كما هو ظاهر في
الخريطة الدولية .

وفي هذا الرأس الجنوبي من (طويق) أي نحو مائة وعشرين كيلاً
شرقي (نجران) يقال: إن هناك خرائب واسعة دالة على وجود موطن أو
مستقر أو مدينة قديمة تشتمل على آبار ونقوش أعلمت بها لما كنت في
(نجران) عام ١٩٢٦م ، والتي أكدت وجودها بكتاب إلى (ولفرد
تسيجر) تحت اسم (مانخالي؟) أثناء عبوره واستكشافه العظيم للجزء
الغربي من الربع الخالي في أوائل عام ١٩٤٨م .

فإذا دلت هذه الخرائب - كما يرجح على - أنها عبارة عن مدينة
سبئية، فهي تنبئنا بوضوح عن تغلغل سبئي داخل بلاد العرب ،
ويحتمل أن يكون ذلك بقصد حماية طرق المواصلات مع المواطن
الشرقية (البحرين وحضرموت) . وآبار (مانخالي ؟) كانت على ما
يظهر تحدد مرحلة من الطريق بين نجران وحضرموت ، والمدينة المؤسسة
هناك كانت بلا شك من أجل حمايتها .

وليس لدينا من دليل أو معلومات عن وجود مدينة كهذه فجوة
الأربعين كيلاً من منطقة (الْمُنْدَفَن)^(١) ولكن أبعد عن ذلك شمالاً في
(قرية) أو (قرية الفاو) - كما تدعى - على وجه العموم . وعلى بعد
ميل أو اثنين من منحدر (طويق) وفي فوهة قناة (الفاو) دليل واضح
لا يمكن الشك بصحته على وجود مستقر أو مدينة واسعة عظيمة في

(١) المندفن : هو طرف جبل طويق الجنوبي الذي دفتته رمال الربع الخالي .

الماضي ليس لها سوى بئر واحدة تحوي ماء غزيراً تشوبه ملوحة طفيفة على عمق ١٥ أو ١٦ باعاً .

وكنت سمعت كثيراً عن هذه الخرائب ، ولكنني لم أتمكن من إنفاذ تصميمي بزيارتها إلا في شهر شباط من هذه السنة . والمفاجأة والشعور الذي انتشر في الرياض إثر وصول السيد (تسيجر) غير المنتظر إلى (السُّلَيْل) من الجانب الآخر من الربع الخالي ، هو الذي وفر لي هذه الفرصة . فقد حصلت على إذن من الملك لأن أذهب من الرياض لملاقاته ، وبعد أن قمت بذلك بموقع (لَيْلى) في (الأفلاج) تابعت رحلتي جنوباً بالسيارة ، وعلى الطريق نفسها التي سلكتها عام ١٩١٨م إلى (السُّلَيْل) ، ومنها إلى (الحُسي) ، ومن ثم متبعاً قناة (الفاو) حتى وصلت إلى (قَرْيَة) .. وكان (تسيجر) قريباً من هذه الأخيرة حين خرج من الربع الخالي ولكنه لم يزرها . ولكن الفرقة الاستكشافية الأمريكية المار ذكرها دخلتها مراراً ، ولم يدع لي أفرادها من أمر دراستها الخاصة لهذا الموقع ما يكون ذا نتائج ملموسة بالنظر لعدم وجود منشورات أخرى عن هذا الموضوع . ولسوء الحظ وبناء على عجز أدلّائي فقد فاتني أن أزور تلال (عبيد) المشهورة رغم ضآلة حجمها والواقعة وسط قناة (الفاو) حيث وجد الأمريكيون بعض النقوش ودلائل أخرى مهمة من نوع طقسي احتفالي . كما وجدوا على البئر نقشاً نفيساً سبباً محفوراً على الصخرة الرأسية لأحد القبور، بارزة من الرمال المحيطة بها ، ومخرجة من مخبئها من قبل

بعض العربان الذين يفتشون عن كنوز هذه الكتابات، والنقوش [ستنشر من قبل الدكتور (ريكمانز)⁽¹⁾ من جامعة (لوفان) في عدد قادم من مجلة له موزيون] وترمز غالباً إلى آثار رفيعة (لحيانية) أكثر من دلالتها على آثار سبئية حقيقية ، ومن المحتمل أن يكون من قبيل التصادف أن كان اسم أحد المواقع والأراضي الرئيسة المشهورة الكائنة في القطاع الشمالي من (طويق) في هذا الجوار وهذه البقعة (لحياني) .

وعلى كل فإن هذه الكتابات والنقوش هي على وجه العموم ذات صفة عادية تافهة ، بينما خرائب المدينة التي هي جزء منها ذات أهمية بارزة ، كدلائل أولى وجدت حتى الآن مشيرة إلى وجود طائفة سبئية داخل بلاد العرب . إن قسماً من القطع الخزفية الفخارية التي وجدتھا على سطح الخرائب (الموجودة الآن في المتحف البريطاني) قد تكون دالة - إلا إذا ثبت خلاف ذلك - على تاريخ يشير إلى القرن الثاني ق.م. بينما واحدة منها هي قطعة من كأس من نوع الكؤوس الفينيقية المعروفة جيداً والتي لا يجب أن نعلق عليها أهمية أو معنى لا تستحقه . ويحتمل أن تكون المستعمرة قد هجرت حين سقوط العهد السبئي ، ولكن بقايا قلعة مبنية من الطين وأبراج عديدة على الحافة الشرقية للخرائب الأقدم منها قد تكون دالة على العودة للاستيطان في جزء من هذه المدينة (المستعمرة) في العصور الوسطى ، ويحتمل أن يكون خلال العهد القرمطي ، وأن تكون جعلت مراكز لحراسة البئر .

وهذه الأخيرة واقعة قرب الحافة الغربية لقطعة هائلة من صخرة

(1) Dr. Ryckmans of Louvain University in Forthcoming issue of Le muséeon .

من الحصن الأبيض ترتفع تدريجياً إلى الجهتين الشرقية والشمالية نحو منحدر الطريق ، وهي محدودة غرباً بحاجز شبه مستدير من الرمل ، ويمتد عبر فوهة قناة (الفاو) العريضة من الناحية الجنوبية إلى الناحية الشمالية من المنحدر . والحصن الوافر الموجود زود المدينة بأساس ثابت متين وبمادة إنشائية بنيت منها القبور ، بينما المحور المستدير من البناء كان غائصاً في صخرة كلسية لونها مائل إلى الزرقة ، إلى العمق الذي أشير إليه آنفاً . وقد اشتركت الرمال وروث (بعير) الحيوانات على مر الزمن ، وتراكمت فارتفعت فوهة البئر ذات الشكل الخماسي الزوايا حالياً بمقدار قامة ، بحيث أصبحت أعلى من مستوى حجر القاعدة الأساسي ، وذلك على ركام بيضاوي الشكل عظيم الجوانب . إن طريق السيارات من (الرياض) إلى (نجران) تمر داخل (قرية) ، ومنها عبر حاجز الرمال الوافر ذكره آنفاً (عرق أبي رمح) صوب الجنوب والجنوب الغربي باتجاه آبار (حمى) .

وتحتل الخرائب مساحة كبيرة مع مدار ومحيط غير منتظم ، وليس من السهل أن يقرر أو يحكم الإنسان ما إذا كانت المدينة مسورة قديماً أم لا ، ومع أنه من الواضح جداً أن البئر كان يجب أن تكون خارج السور لو كان موجوداً .

ومن جهة أخرى توحى بعض الخرائب ، ولو في شيء من الإيهام ، بوجود مجموعة من المساكن الحصينة . مع أن الكثير منها هي بلا ريب عبارة عن قبور من نوع ما . ولا يتيسر إلا لمعول عالم بطبقات الأرض أن يكشف عن حقيقة ومغزى هذه المجموعة من الخرائب ، وفي الوقت

ذاته فإن زيارات العربان العفوية لهذه البئر ستعطي الطامعين منهم فرصة لتجول في الخرائب للتفتيش عن الكنوز . وقد ساعد هذا التفتيش عن الكنوز على رفع وإبعاد كميات كبيرة من الرمل من واجهة إحدى جوانب بناء صغير يظهر أنه قبر مدخله المقوس قد قطع في واجهته الشمالية الغربية وعزل عن حفرة قائمة الزوايا ، بينما يوجد فوقه مخدع عميق التجويف . أما واجهة القبر فملئية بالنقوش ، والكتابات المحفورة على صورة سطحية في طبقة رقيقة من الجبس الذي يظهر أنه كان يغطي جوانب القبر الأربعة . إن وجود كتابات وأسماء عديدة ظاهر ارتباطها ببعضها على صورة توحى بقراءة أكيدة ، يدل على أن هذا المحل كان مقبرة لعائلة معروفة ، ويطلق عليها العرب المحليون اسم سرداب أو حجرة صيفية تحت الأرض . فإذا نظفت من الأنقاض التي تحيط بها يصبح القبر بعلو ثمانية أقدام وعرضه بمساحة اثني عشر قدماً مربعاً . ومن الواضح أن محتوياته لم تمس منذ أن دفن به المتوفى الأخير .

ولكن هناك قبر آخر فحصته فتبين أن محتوياته قد نهبت بدليل أن أحد ألواح الحجرة الكلسية الذي كان يغطي فوهته قد أزيل من محله ، وحلت محله كومة من الرمال أذرتها الرياح فامتلاً بها قسم من التجويف الذي كان عمقه الأساسي بين ثمانية وتسعة أقدام (فهو بطول ثمانية أقدام وعرض ثلاثة أقدام) قياساً من الداخل .

وبعض الركام الكثير الموجود قرب حافة هذا المكان الغربية يدل على أنه كان أساس بناء المدينة ، وقد تكون قلعة أو قصر الرئيس . والحجارة

المنحوتة المبعثرة أمام هذا الركام تدل على أنها كانت مطلع مدرج ، أو رواقاً يؤدي إلى هذا القصر العظيم من القسم السفلي الغربي للمدينة .
وهناك اثنتان من الخرائب القائمة الزوايا يحتمل أن تكون إما سقوفاً للقبور أو أساساً لبيوت السكن ، والأرجح أنها سقوف . وقد شوهد خط طويل من هذه البقايا ممتد إلى الشرق والغرب يحتوي على خمس وحدات مستقلة متميزة ، ثلاث منها واقعة في الطرف الشرقي ، وقياس كل منها $10 \times \frac{1}{4}$ أقدام ، أما البناية الأخيرة المتصلة فهي بطول $17 \times \frac{1}{4}$ أقدام .
وهذه بلا شك مجموعة من القبور تخص عائلة واحدة .

الأمل أن تكون هذه المذكرات والملاحظات كافية لأن تجعل الخبراء قادرين على أن يكونوا فكرة عن احتمالات وإمكان القيام بحفريات في هذه المنطقة الواسعة التي تشتمل على مساحة كبيرة عظيمة ، وبشكل غير منتظم ، متجهة تقريباً نحو الشمال والشمال الشرقي ، وإلى الجنوب والجنوب الغربي كما يظهر من المخطط التقريبي . ويظهر أن العربان الذين يفتشون عن الكنوز لم يزعجوا هذه المحلات كثيراً في الأزمنة الحديثة . وقد تكون محتوية على معلومات ذات أهمية بالنسبة لمؤرخي بلاد العرب .

إن اهتمام البلاد العربية المتزايد في البحث والتنقيب عن آثار ومخلفات مدينتهم القديمة ، واللجنة الثقافية التي شكلت حديثاً من قبل الجامعة العربية يوحيان بأنه سيجري الكشف على هذه المحال ، ودراستها وفحص ما تحويه من آثار وبقايا قديمة من قبل الخبراء وعلماء الآثار وطبقات الأرض العرب ، وذلك في زمن ليس بالبعيد .

قرية الفاو

عن دائرة المعارف الإسلامية

المطبوعة حديثاً باللغة الإنجليزية

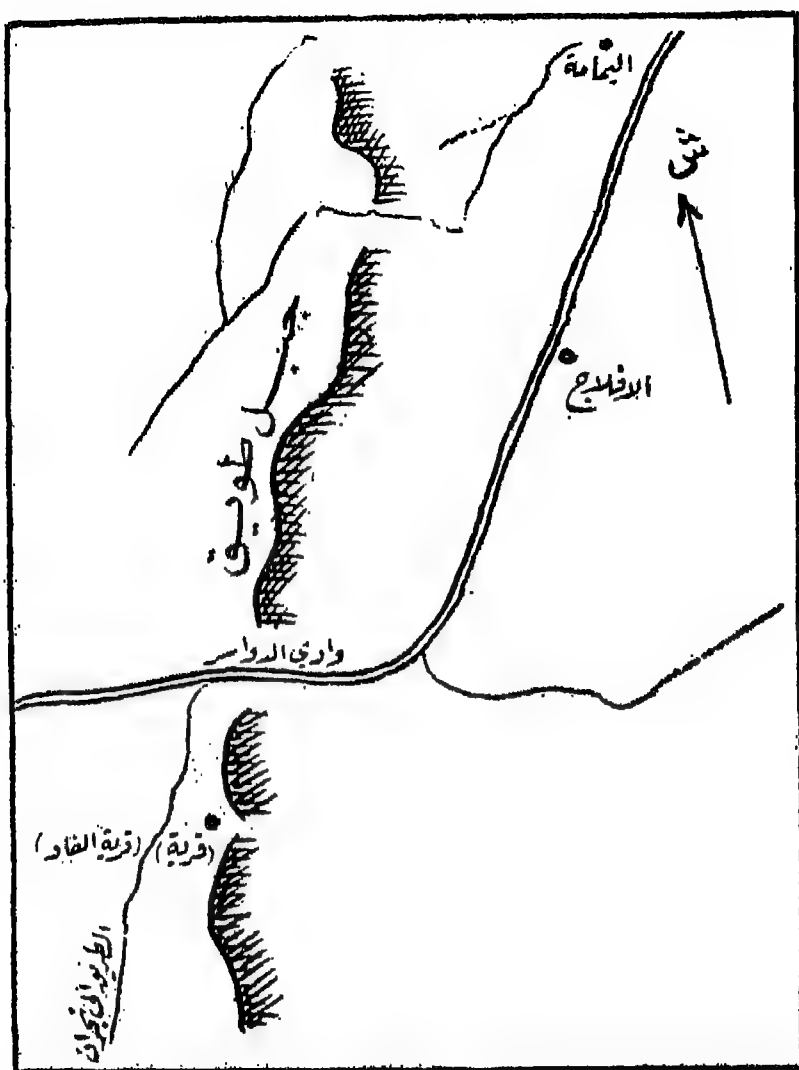
فاو (القرية ، الوادي) . تقع تقريباً عند الدرجة ١٠ / ٤٥ شرقاً و ١٥ / ١٩ شمالاً ، وجنوب فرجة وادي الدواسر بـ ٧٠ كيلاً . وحوض وادي الفاو يقطع منحدر (جبل طويق) من جانب لآخر في الجزء الأوسط المرتفع من الجزيرة العربية . وفي أعرض نقطتها ؛ فإن جانبي الفرجة تبلغ حوالي ١٨ كيلاً وحدها . والوادي جاف بوجه عام ، ومن النادر أن تسيل الفيضانات في اتجاه الشمال الشرقي لتصل إلى وادي الدواسر . وقرب الحافة الجنوبية لفرجة وادي الفاو على بعد كيلين تقريباً من المنحدر نفسه توجد ثلاث آبار ، وآثار الاستيطان القديم المترامية بقرية الفاو . ولا تزال الآبار تستعمل ، أما الاستيطان الدائم فقد توقف من عدة قرون مضت . وإن أطلال الاستيطان الطويل تتضمن بقايا عدد من المنازل والمقابر وقليل من الروابي ذات الطبيعة غير المتماسكة (الهشة) . وتشيد المباني يتم بالطوب وأحجار البناء مع سخاء في استعمال الجبس الموجود محلياً . وإن القطع الخزفية الموجودة حالياً تدل على أن هذا الاستيطان كان قائماً في أثناء القرن الثاني قبل الميلاد، كما يستدل من بقايا أخرى سطحية ، ومن تلك النقوش الموجودة في جوارها يبدو أنها كانت ذات مرة نقطة على الحدود السبئية . ويدل ما عثر عليه بسطح المنطقة على أن الإقامة كانت على الأقل أثناء فترة من وجودها معاصرة لذات الأخدود في وادي نجران .

المصادر :

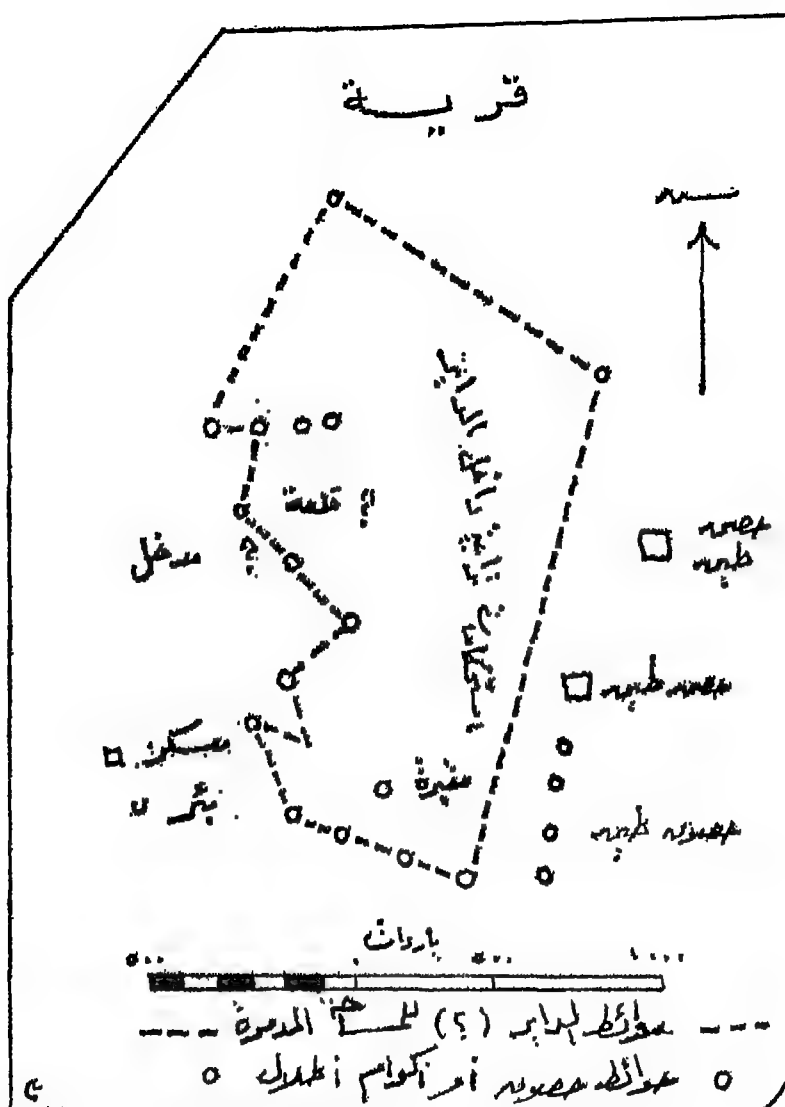
هـ. ست ج . ب . فيليبي ، العربية في المجلة الجغرافية الأمريكية ، مذكرتان عن أواسط المملكة، يناير يونيو ١٩٤٩ م .

خريطة : ب. لينز ، رحلة في أواسط المملكة العربية ، باريس ١٩٥٦ م).

(ف . س . فيدال)

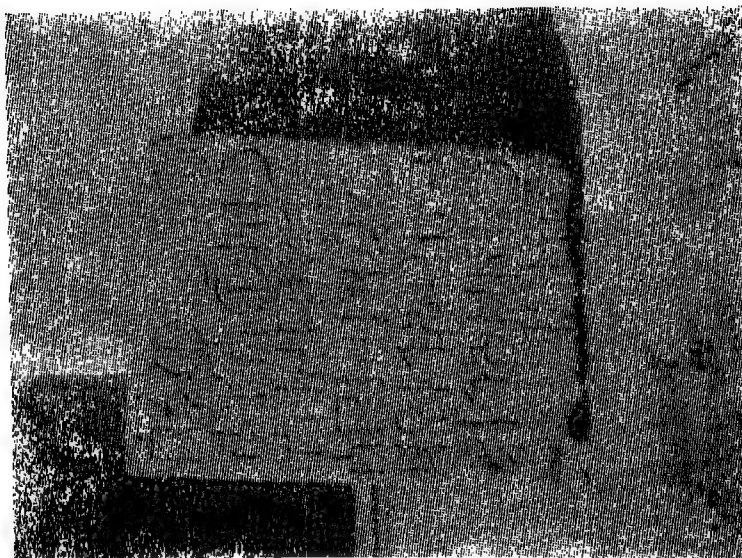


موقع (قريّة) ، وتسمى (قرية الفار) لوقوعها في
(فار) أي فم ، أو ريع يشق الجبل .



مواضع الآثار في (قرية)

٣ - كتابة (حميرية) في قرية (ثاج)



حجر فوقه كتابات بالسند (الخط الحميري) عُثر عليه في قرية
ثاج (H. R. P. DICKSON) . ويقع الحجر على مسافة تقرب من عشرة أميال في
الجنوب الشرقي من (الحنة) في (وادي المياه) المعروف قديما بوادي الستارين .

⊙ H W I
O U I N L I Z
N X I N L I O K
⊙ K I U N I N U
U L X I U N I U
C I U ⊙ U A N
⊙ L C I ⊙ O U

صورة منقولة بالقلم للكتابة التي عُثر عليها (H. R. P. DICKSON) في (تاج)
ونشر عنها دراسة في كتابه : (The Arab of The Desert)

مجموعة من الصور تمثل تطور
العمران في مدينة الرياض من القرن
الثاني عشر الهجري إلى عهدنا الحاضر^(١).

(١) أي سنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م عندما تم طبع الكتاب طبعته الأولى . (الدارة) .



(١)

الصورتان ١ ، ٢ من أطلال مدينة الدرعية بعد أن هدمها إبراهيم باشا سنة ١٢٣٣ هـ ومنها يتضح طراز البناء في القرن الثاني عشر الهجري . وقد كان البناء في مدينة الرياض في ذلك العهد مماثلاً لما في الصورتين كما شاهدناه في ١٣٤٦ هـ في قصر ناصر بن حمد بن ناصر العائذي أمير الرياض في سنة ١٢٣٦ هـ ، وكان موقعه غرب قصر الحكم الحالي في جانب (المقبرة) الشرقي ، وقد زال ذلك القصر وبني مكانه .



(2)



سور مدينة الرياض ويلاحظ إحاطة النخيل بالمدينة قديما



سور الرياض والعمال يهدمونه عند (باب الشميري)



باب قصر المصمك



مدخل قصر المصمك



قصر المصمك (وقد أنشئ سنة ١٢٨٢ هـ) وهو مبني من اللبن والطين

الصور التالية تصور مرحلة ثانية من
تطور البناء في مدينة الرياض ، حيث
تصبح القصور ذات أبهاء واسعة ،
ونوافذ مستطيلة واسعة أيضاً ،
وشرفات تقوم على مربعات صغيرة .



منظر خارجي للقصر الملكي في سنة ١٣٥٠ هـ



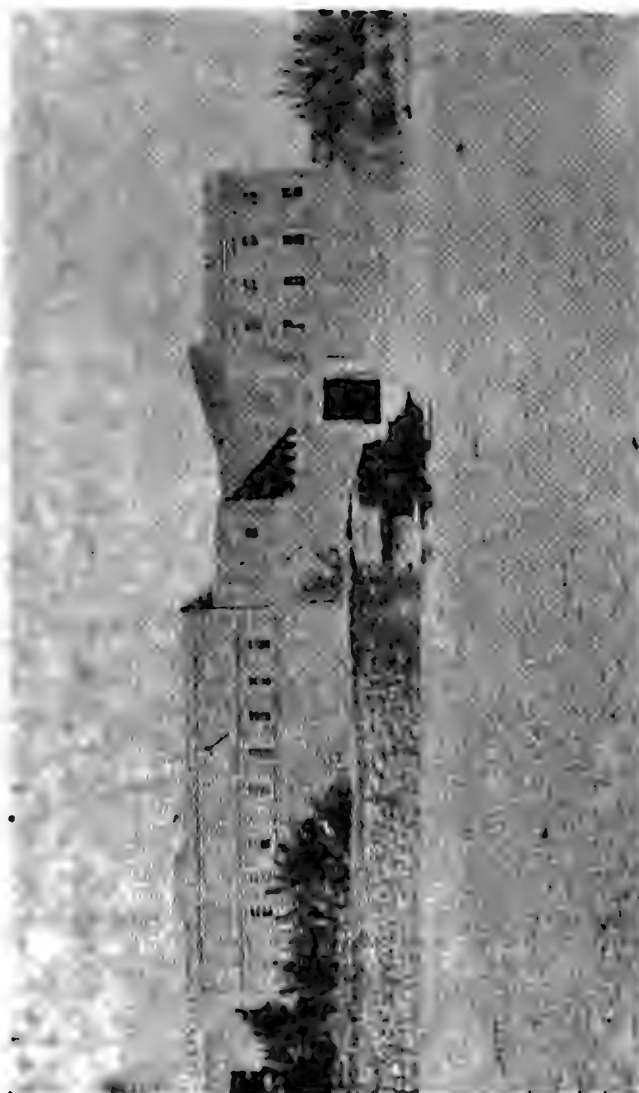
منظر داخلي للقصر الملكي (المضيف)



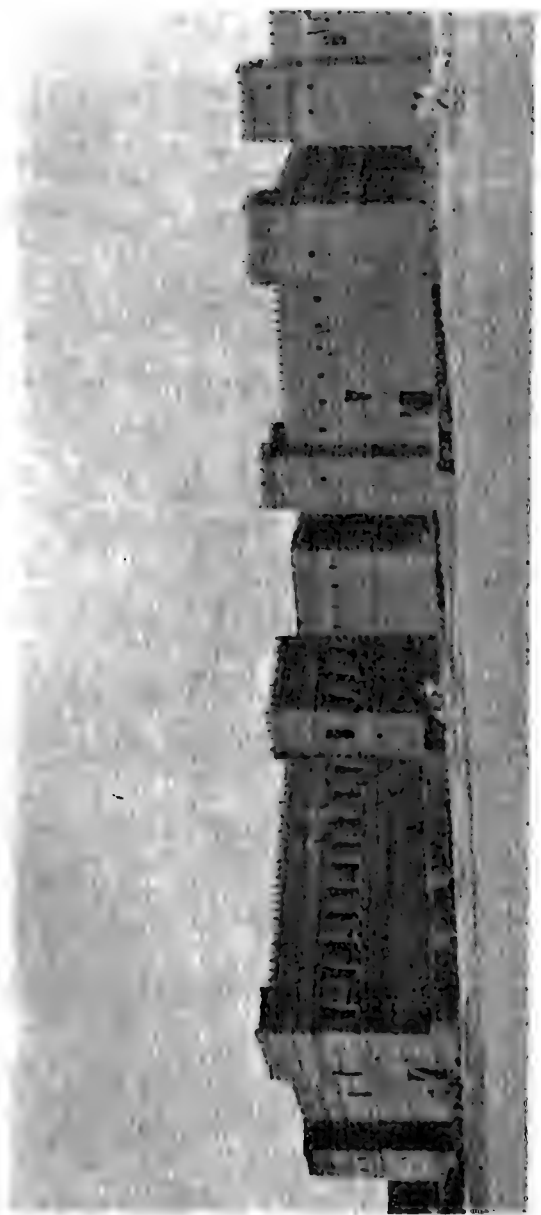
منظر عام لمدينة الرياض من الجو في عام ١٣٥٥هـ
ويبدو فيها اختلاف طراز الأبنية



خارج القصر (المناخة) في عهد الملك عبد العزيز ، وأمامه الوفود



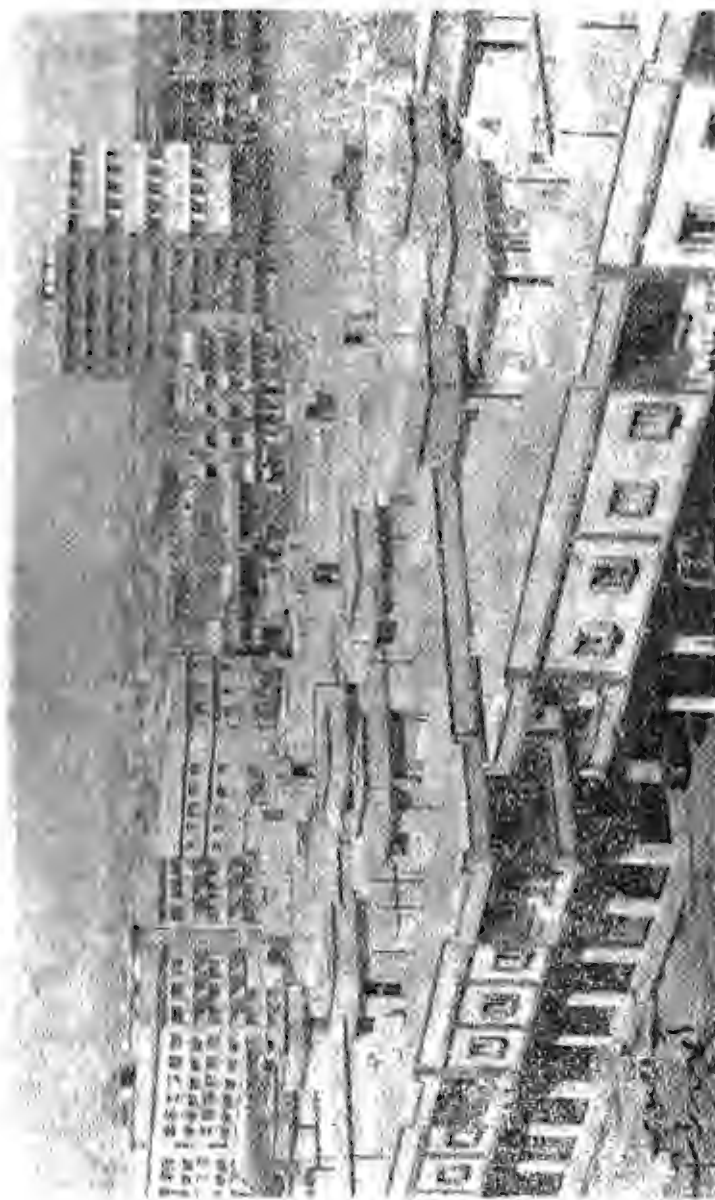
قصر (البديعة) في (الباطن) وادي حنيفة . وهذا القصر مخصص للضيوف الذين
يفدون من خارج البلاد في عهد الملك عبد العزيز



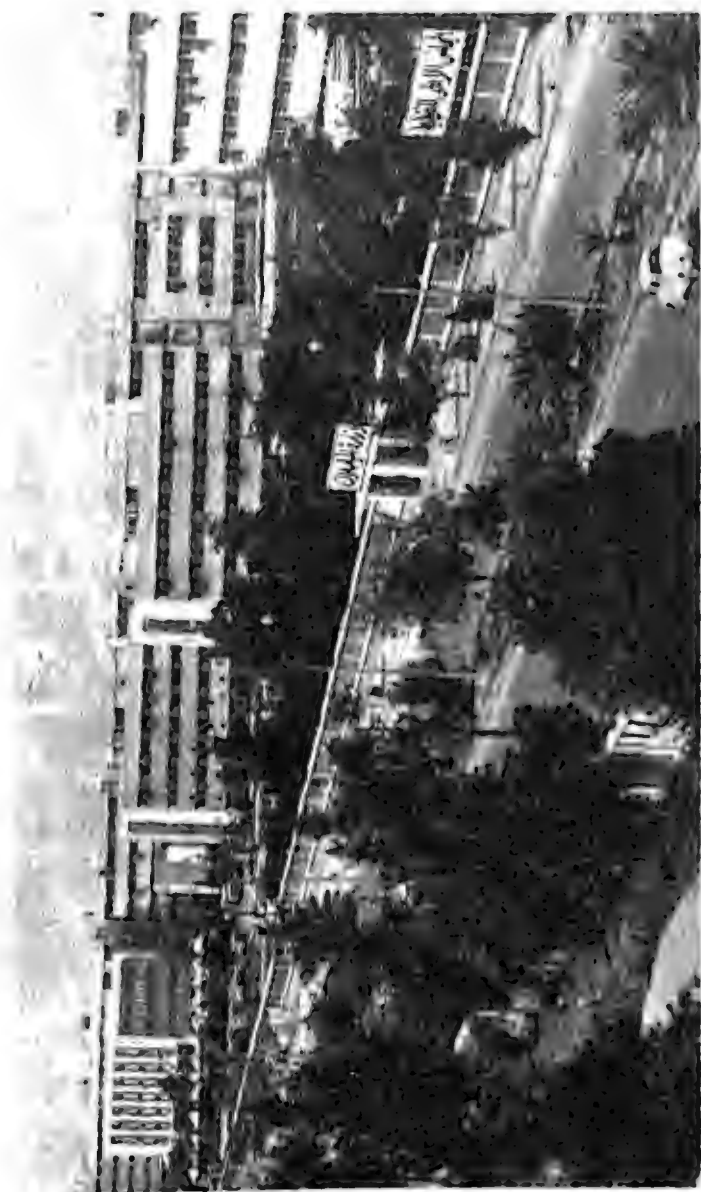
مجموعة من القصور الملكية أنشئت من الطين والطين في آخر عهد الملك عبد العزيز
رحمه الله

الرياض الحديثة

مجموعة من الصور تمثل النهضة
العمرانية الحديثة في مدينة الرياض
حيث طغت موجة التنظيم الحديث
حتى أزال معالم المدينة القديمة
بالهدم وإعادة البناء على الطريقة
الجديدة وتوسيع الشوارع ، وإيجاد
الميادين الفسيحة داخل المدينة .



قسم من مدينة الرياض الحديثة



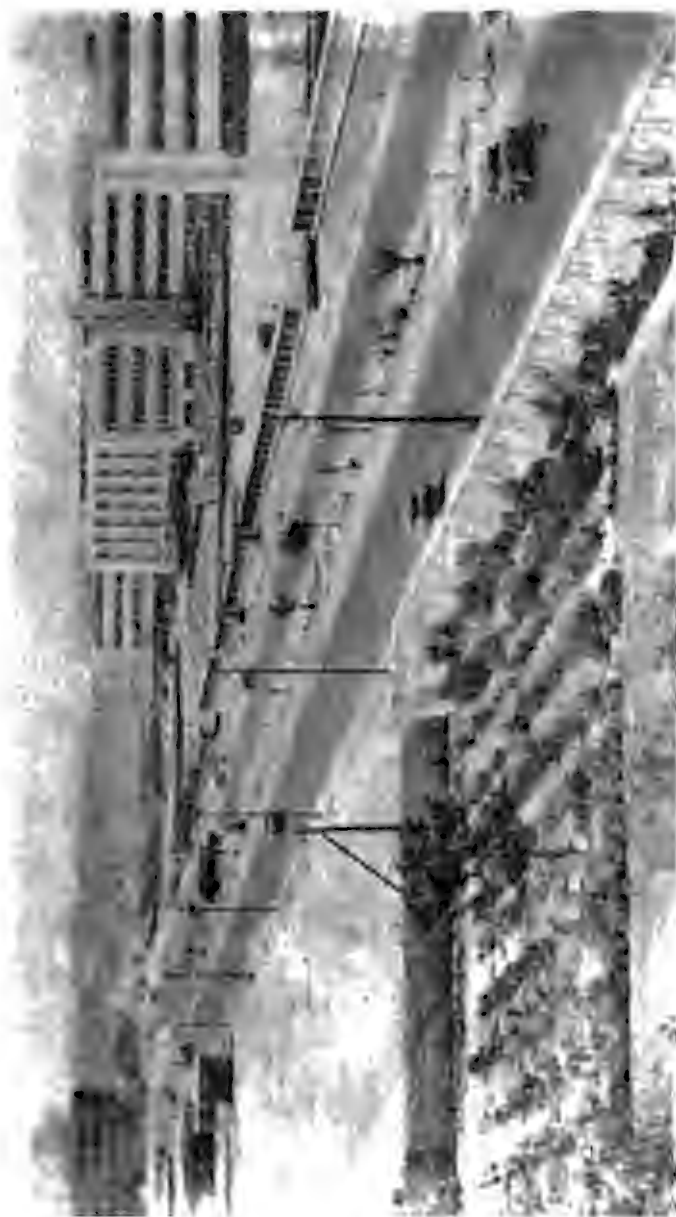
شارع (المطار) تبدو على جانبه البناءات الحديثة للوزارات



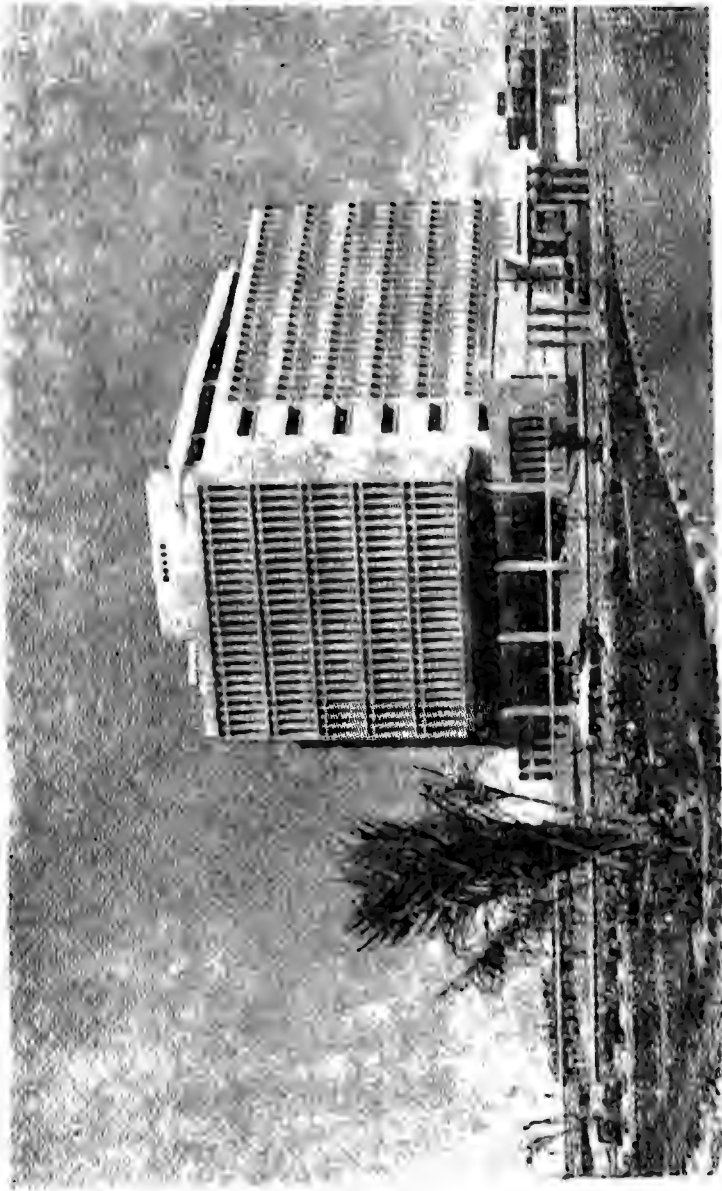
شارع حديث من شوارع الرياض



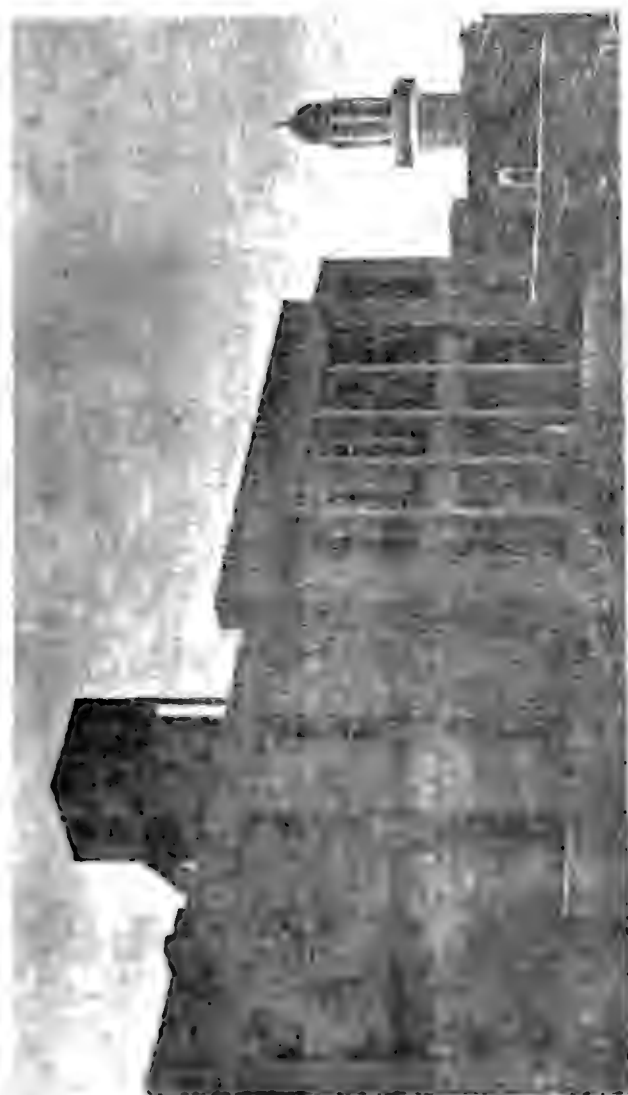
شارع حديث من شوارع مدينة الرياض الحديثة



وزارة المالية والاقتصاد الوطني



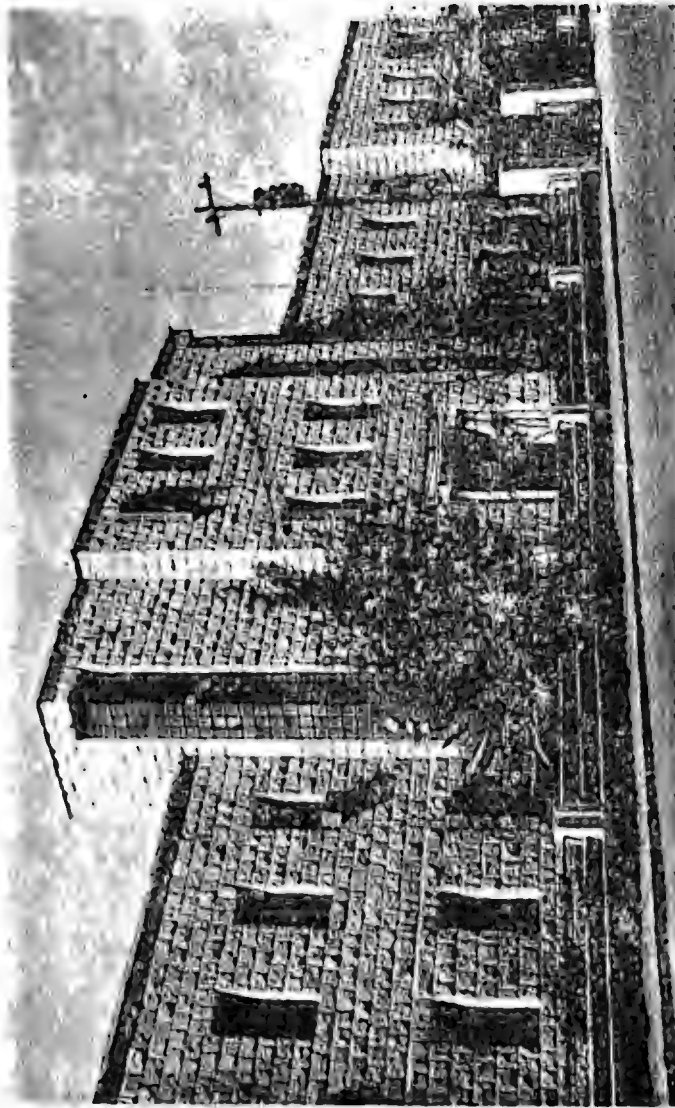
مہی حکومتی حدیث



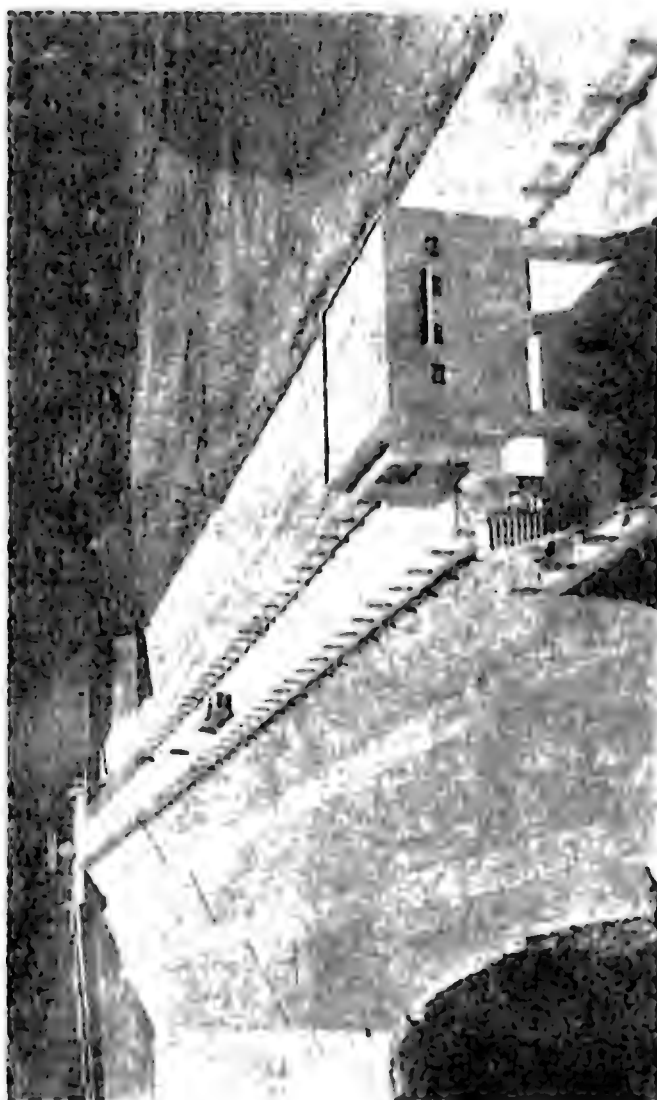
(قصر الحُكْم) وقد أقيم محل القصر القديم الذي كان مقراً للحكام من عهد دِهَام بن
دواس إلى آخر عهد الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى



مجرى وادي (الوتر) - البطحاء - يخترق المدينة ، وقد حفر وأحيط
بسياج ، ليكون مجرى للسيل



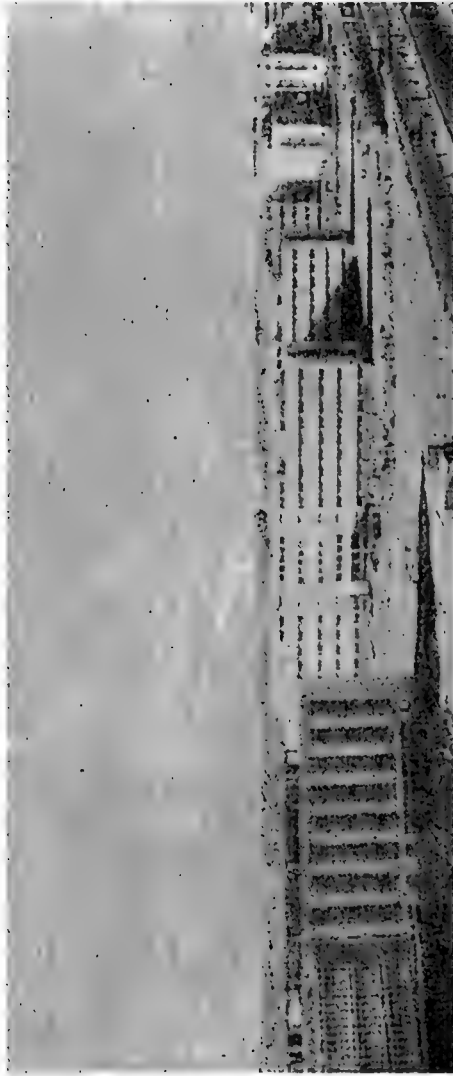
دار (أمانة مدينة الرياض) مبنية بالحجر والأسمنت بناء حديثاً



سد (وادي نَمار) بقرب مدينة الرياض ، أنشئ حديثاً



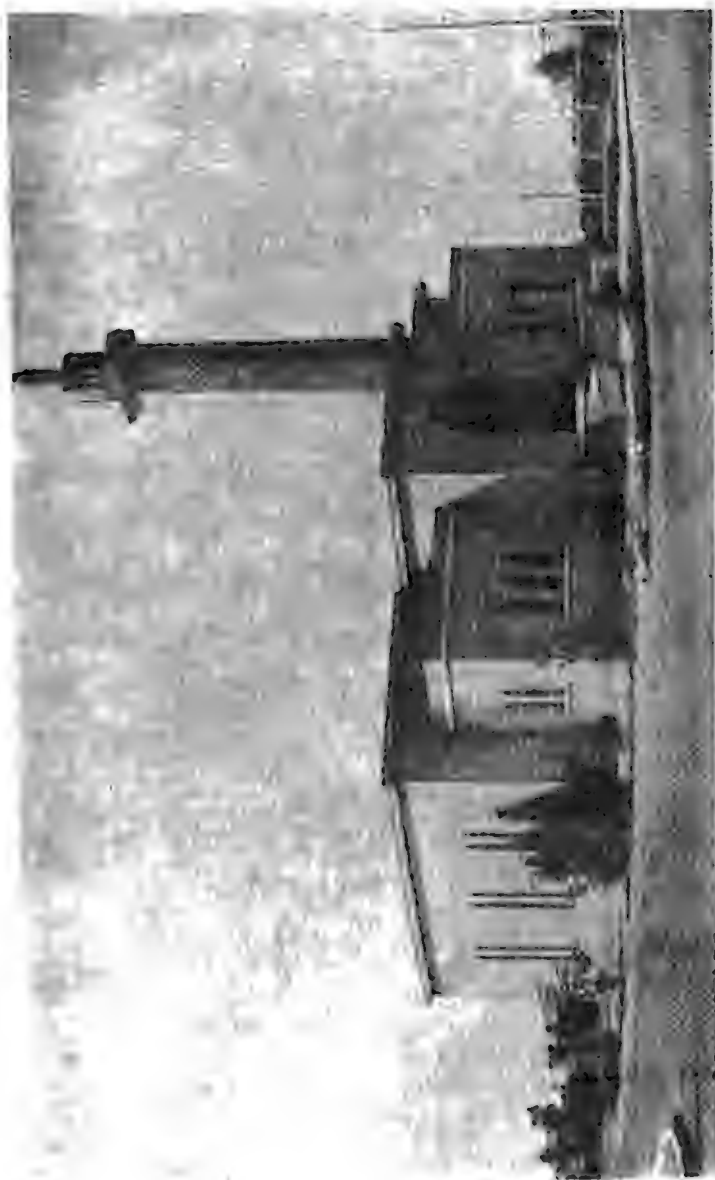
جانب من مدينة الرياض الحديثة



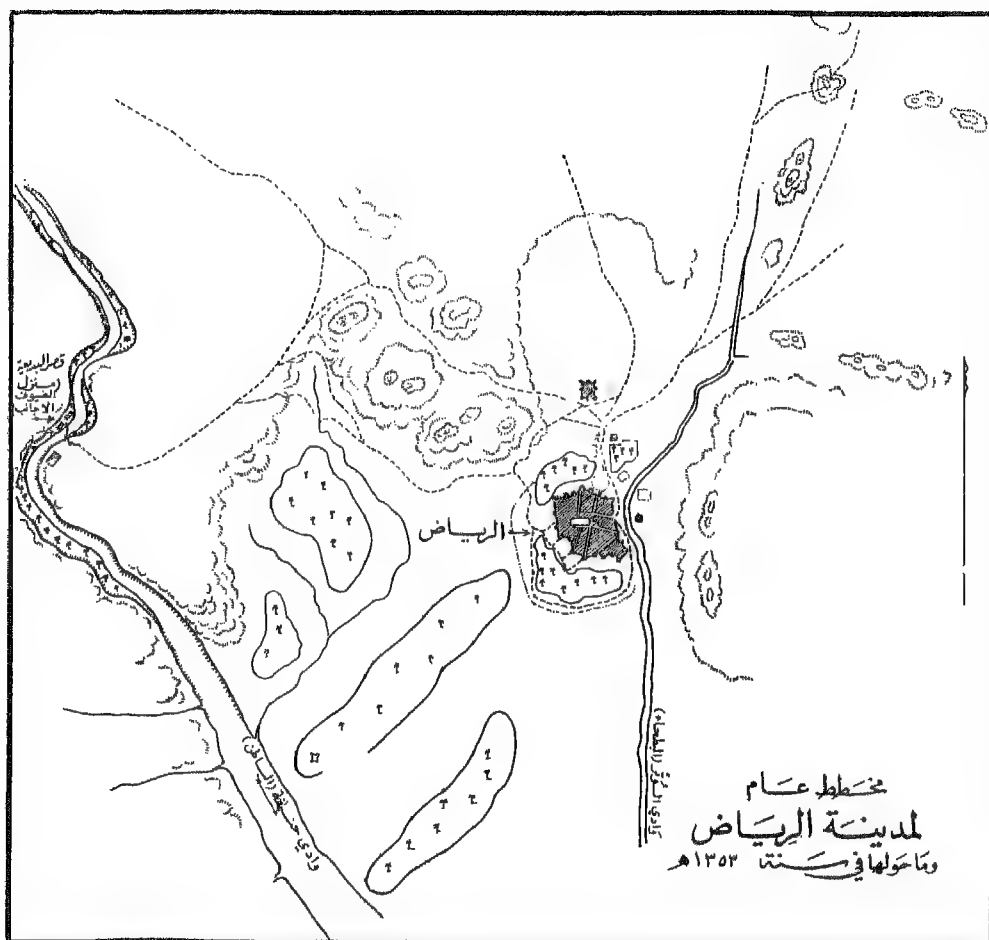
جانب آخر من مدينة الرياض الحديثة



منظر من (حديقة الحيوانات) في الرياض



مسجد حديث البناء



المصادر

- ١ - الأخبار الطوال .
- أبو حنيفة : أحمد بن داود بن وند الدينوري
- ٢ - الأغاني .
- أبو الفرج : علي بن الحسين الأموي الأصفهاني .
- ٣ - الإكليل .
- الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني اليمني .
- ٤ - بلاد العرب .
- الحسن بن عبد الله الأصفهاني .
- ٥ - تاريخ آل سعود .
- سعود بن هذلول آل سعود .
- ٦ - تاريخ الرسل والملوك .
- محمد بن جرير الطبري .
- ٧ - تاريخ العرب قبل الإسلام .
- جرجي زيدان
- ٨ - تحفة النظار (رحلة ابن بطوطة)
- محمد بن عبد الله المعروف بابن بطوطة الطنجي المغربي .
- ٩ - تقويم البلدان .
- إسماعيل بن علي المعروف بأبي الفداء صاحب حماة .
- ١٠ - جمهرة أنساب العرب .
- علي بن أحمد بن حزم الأندلسي .

- ١١ - جمهرة النسب .
- هشام بن محمد بن السائب الكلبي .
- ١٢ - ديوان الأعشى .
- الأعشى الكبير ميمون بن قيس الوائلي الربيعي .
- ١٣ - سفرنامه (رحلة) .
- ناصر خسرو علوي الفارسي .
- ١٤ - سمط النجوم العوالي .
- عبد الملك العصامي المكي .
- ١٥ - شرح المعلقات .
- ابن الأنباري .
- ١٦ - شمس العلوم .
- نشوان بن سعيد الحميري اليمني .
- ١٧ - صفة جزيرة العرب .
- الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني اليمني .
- ١٨ - صورة الأرض .
- ابن حوقل القصبني .
- ١٩ - العبر (تاريخ ابن خلدون) .
- عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المغربي .
- ٢٠ - عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب .
- ابن عنبة حمد بن علي الحسني .
- ٢١ - عنوان المجد في تاريخ نجد .
- عثمان بن بشر النجدي .

- ٢٢ - فتوح البلدان .
أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري .
٢٣ - الفهرست .
محمد بن إسحاق بن النديم .
٢٤ - الكامل في التاريخ .
ابن الأثير .
٢٥ - مختصر كتاب البلدان .
أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني .
٢٦ - مروج الذهب .
علي بن الحسين المسعودي .
٢٧ - مسالك الأبصار .
أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري .
٢٨ - المشترك .
ياقوت بن عبد الله الحموي .
٢٩ - معجم البلدان .
ياقوت بن عبد الله الحموي .
٣٠ - معجم ما استعجم من أسماء المواضع .
عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي .
٣١ - نبذة في تاريخ نجد .
إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي .

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٩	تقديم
١١	كلمة
١٣	مقدمة المؤلف
١٤	الآثار الباقية
١٦	مدينة (حجر) : معنى اسمها ، موقعها
١٨	من تاريخ (حجر) القديم
١٨	غزارة الماء قديماً في الوادين
١٩	العيون القديمة
٢٠	من حصون اليمامة
٢٢	في أي عصر عاشت (طَسْم) ؟
٢٣	سبب هلاك القبيلتين
٢٧	سكان البلاد بعد طسم وجديس
٢٨	بنو هزَّان الأولى
٢٩	سكنى عَنَزَة في اليمامة
٣٠	سكنى حنيفة في اليمامة
٣٢	متى سكنت حنيفة اليمامة ؟
٣٣	حجر في عهد بني حنيفة
٣٥	بين (حَجْر) و (الحِضْرمة)

الصفحة	الموضوع
٣٥	موقع (الخضرمة)
٣٦	(حَجْر) عند ظهور الإسلام
٣٦	هوذة بن علي الحنفي
٣٧	ثمامة بن أثال الحنفي
٣٩	وفود بني حنيفة على الرسول ﷺ
٣٩	انقياد الحنفين لمسيلمة الكذاب
٤٠	خالد بن الوليد في الإمامة
٤١	وقعة (عقرباء)
٤٢	استيلاء الجيش الإسلامي على الإمامة
٤٦	(حَجْر) في صدر الإسلام
٤٨	يوم (قاع حَجْر) في العهد الأموي
٥٠	(حَجْر) في أثناء العهد العباسي
٥١	الأخضرىون يحكمون الإمامة
٥٢	جور الأخضرىين وظلمهم
٥٣	ناصر خسرو يصف لجدًا في رحلته في منتصف القرن الخامس
٥٦	فترة مجهولة التاريخ
٥٨	(حَجْر) في القرن الثامن الهجري
٦١	(حَجْر) في القرن التاسع الهجري
٦٢	مدينة (حَجْر) تصبح قرى متعددة الأسماء
٦٣	(مَعكَال) تحل محل (حَجْر)

الصفحة	الموضوع
٦٤	بين بلدتي (معكال) و (مقرن)
٦٥	بدء بروز اسم الرياض
٦٦	مدينة الرياض تقوم على أطلال (حَجَر)
٦٧	الرياض في عهد دهام بن دواس
٧١	مدينة الدرعية تصبح قاعدة للبلاد
٧٣	الرياض تصبح قاعدة للبلاد
٧٥	الرياض في عهد الإمام فيصل
٧٦	الرياض بين عبد الله وسعود ابني فيصل رحمه الله
٧٩	الأمير ابن رشيد يستولي على الرياض
٧٩	حائل تصبح قاعدة للبلاد
٨١	الرياض تستعيد مجدها في عهد الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن
٨٣	تغير طراز العمران في الرياض
٨٥	اتساع المدينة وإزالة سورها
٨٨	دخول وسائل الحضارة إلى المدينة
٨٨	الماء في الرياض
٨٩	الكهرباء
٨٩	الصحة
٩٠	وسائل العلم والثقافة
٩٠	التعليم
٩٠	المدارس الحديثة
٩١	تنظيم التعليم الديني

الصفحة	الموضوع
٩١	الجامعة والكلية الحربية
٩١	المكتبات
٩٢	الطباعة والصحافة
٩٤	نهاية البحث
٩٥	ملحق للكتاب عن : الآثار الحميرية في بلاد نجد
٩٦	(١) في (مأسل الجمع) في عالية نجد
١٠٩	(٢) في (قرية الفاو) شمال الأفلاج
١١٦	قرية (الفاو) عن دائرة المعارف الإسلامية
١٢٠	(٣) كتابات (حميرية) في قرية (ثاج)
١٢٣	مجموعة من الصور تمثل تطور العمران في مدينة الرياض من القرن الثاني عشر الهجري إلى عهدنا الحاضر
١٥٩	المصادر
١٦٣	فهرس المحتويات

تعليقات

رأت الدارة التنبيه على بعض المواضع بالتعليقات التالية :

الصفحة	السطر	العبارة الواردة في الكتاب	التعليق
٢٠	١ - ٢	ومما ينسب للملك عبدالعزيز ابن عبد الرحمن الفيصل - رحمه الله - من الشعر العامي	لم يثبت من خلال المصادر ما نسب للملك عبد العزيز من الشعر
٦١	٣	ما ذكره بعض المؤرخين عن وفود ربيعة بن مائع .. على صاحب حجر والجزعة	الصحيح ان الذي قدم إلى الدرعية هو مائع بن ربيعة انظر : عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، الجزء الثاني ، دار الملك عبد العزيز . ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٩٦
٧٠	٥	وقعة قتل ابن دواس	الصحيح ان الذي قتل هو دواس بن دهام
٧٢	١٦	وفي سنة ١٢٣٨ هـ استقر الإمام فيصل بن تركي في بلدة (عرقه)	الصحيح أنه الإمام تركي ابن عبد الله
٩٠	٥ - ٦	من عهد الإمام فيصل إلى عهدنا الحاضر	الصحيح أنه الإمام تركي ابن عبد الله

هذا الكتاب

سبق طبع هذا الكتاب في سنة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٦م، وقد رأت دارة الملك عبد العزيز إعادة طبعه مرة أخرى ليتسنى للباحثين في تاريخ مدينة الرياض الاستفادة منه، فالكتاب يقدم دراسة تاريخية للمدينة الرياض منذ جذورها الأولى، وما مرّ بها من أطوار، كما يتناول هذه المدينة في العهد السعودي الزاهر حين أصبحت الرياض قاعدة للبلاد، وعاصمة للمملكة العربية السعودية، وما شهدته من تطور وازدهار منذ أن استردها الملك عبد العزيز -رحمه الله- سنة ١٣١٩هـ إلى أن أصبحت تضاهي كبرى المدن العالمية حضارة وتقدماً.

ولزيادة قيمة الكتاب ألحق به مؤلفه بحثين عن الآثار الحميرية في بلاد نجد، وأضاف إليه مجموعة من الصور المعبّرة عن تطور مدينة الرياض خلال فترة الثمانينيات الهجرية / الستينيات الميلادية.

Bibliotheca Alexandrina



0347460



9 999 606 937 241



دار الملك حمد